



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

الغرائبية في رحلة "تخليص الإبريز في تلخيص
باريز" لـ: رفاعة رافع الطهطاوي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

د. جفدم الحاج

إعداد الطالبة:

يحي شريف فاطمة

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الجامعية	الصفة
د.حمودي محمد	أستاذ	جامعة مستغانم	رئيسا
د.جفدم الحاج	أستاذ	جامعة مستغانم	مشرفا ومقررا
د.بوقصة عبد الله	أستاذ	جامعة مستغانم	ممتحنا

الموسم الجامعي: 2023-2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الحمد وكفى والصلاة على سيد الخلق الصادق الأمين صل الله عليه وسلم وأهله ومن اتبع هداه أما بعد:

الحمد لله الذين وفقني في هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي ثمرة الجهد والنجاح بفضلته تعالى وتوفيقه.

أهدي ثمرة هذا النجاح والجهد إلى كل من والدي رحمة الله عليهما وغفر لهما ما تقدم من ذنب وما تأخر، إلى أبي الذي تكفل بتربيتي "خداوي لكحل" رحمة الله وأسكنه فسيح جناته، وإخوتي الكرام " محمد، العيد، بلال، ربيعة، أبوبكر، عبد القادر"

وأهدي تحياتي وسلامي إلى الدكتور والأستاذ المشرف "جندم الحاج" الذي ساندني ودعمني بالتوجيهات والإرشادات أدعو الله أن يكرمه ويحفظه و يُنور دربه، ويحقق كل ما يتمناه وأن يصل إلى مبتغاه.

فاطمة

شكر وامتنان:

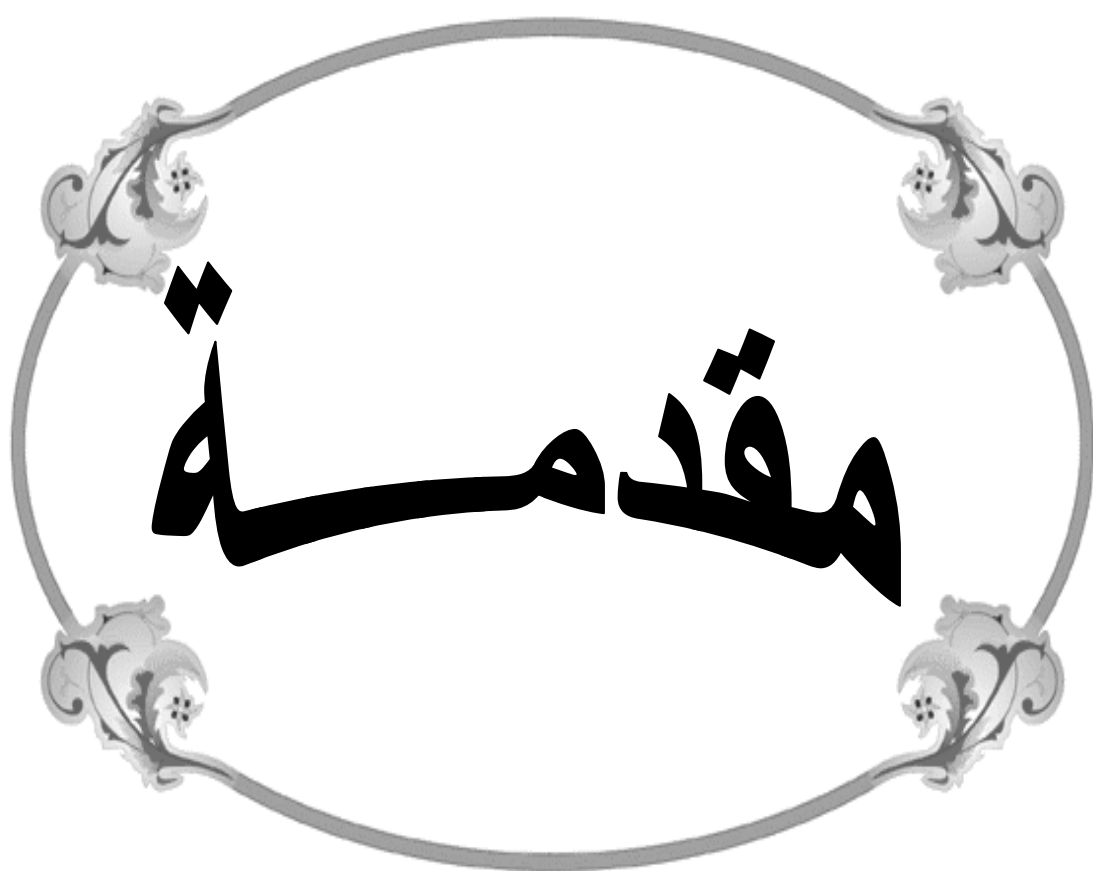
نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق في القول والعمل، نستغفر الله في السر والعلن والصلاة والسلام على النبي الحبيب المصطفى -صل الله عليه وسلم-، والحمد لله حمدا كثيرا على نعمته.

أقدم بأخلص الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور الفاضل "**جندم الحاج**" على كل المساعدات والتوجيهات والنصائح التي قدمها لي طيلة مشواري معه.

كما أقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الذين درسوني كل باسمه وكانوا سندا لي طيلة مسيرتي الجامعية.

قائمة المختصرات

صفحة	ص
طبعة	ط
دون طبعة	د ط
تعريب	تع
جزء	ج
تحقيق	تح
مجلد	مج



مقدمة:

ارتبطت كلمة الرحالة في صورتها الذهنية بكل ما له علاقة بسلوك الإنسان فيسعى الرحالة من خلالها إلى تحقيق أهداف شتى متشعبة بتشعب الحياة، لأجل راحته وأمنه وسد حاجياته وكذلك رفع من مستواه المعيشي والحضاري.

فالرحلات عالم ساحر من الرؤى والغوص في المجهول وعبور للحدود لاستكشاف الأمكنة، فهي انتقال في زمان ومكان لذا عرف العرب والمسلمون الأوائل الرحلات ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية وغيرها من البلدان وجابوا الأفاق فأبحروا في أرض الله الواسعة حيث أبحرت سفنهم في أغلب البحار وداست أقدامهم معظم الأراضي.

وقد ارتبط فعل الرحالة بالسيرة الذاتية، فنجد الرحالة ينقل لنا تفاصيل رحلته من مشاهد وأحاسيس مختلفة فنجد ساردا تفاصيل رحلته من مشاهد وأحاسيس مختلفة قصصا وقعت له أثناء رحلته وأحيانا تتجسد فيه شخصيته حتى شخصيه الرحلة وكأنه البطل في هذه الرحلة الطويلة من بدايتها إلى نهايتها حتى يعود في الأخير إلى موطنه معتمدا في سرده لمشاهد رحلته على عديد من الطرق السردية كتضمنين الغرائبي للنص السردية.

وتعد الغرابة مادة دسمة نحلت منها الشعوب رصيدها الأدبي، وتعد الغرائبية مجالا للخيال وإمكانات للتعبير اللامحدودة لهذا فان الامتزاج الواقع بالخيال أعطى للغرائبية فرصة لتثبيت كيانها في الساحة الأدبية، وقد استطاع النص الغرائبي أن يبتكر الطرائق الجديدة في سرد تجعله أكثر قابلية للانفتاح على النصوص والتصورات الجديدة بالرغم من قدم حضوره في النصوص الأدبية التراثية إلا أنه استطاع أن يفرض بصمته على رهان الكتابة، وقد تجلى هذا في توافد بعض أقلام الكتاب على هذا النوع من الأدب فأصبحت الرحلات الغربية والعربية حافلة بهذا النوع من النصوص الغرائبية السردية، ولقد وقع اختيارنا على رحلة تخليص الإبريز في تليخيص باريز لرفاعة الطهطاوي

ونظرا لأن رحلة الطهطاوي تعد واحدة من إحدى الرحلات التي صبغ عليها الطابع الغرائبي والتي تجلت في كونها ملمة بالحياة الاجتماعية والحضارية لمدينة باريس المليئة بالأحداث والمشاهد الغرائبية.

تأسيسا على ما سبق نحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

- فيم تجلت التظاهرات الغرائبية في رحلة تخليص الإبريز في تليخيص باريز؟

تتدرج تحت الإشكالية التساؤلات الجزئية التالية:

- ما أهمية الرحلة وأهدافها؟

- ماذا نعني بالغرائبية وما جذورها في الأدب العربي؟

- فيم تجلت الغرائبية في رحلة الطهطاوي؟

وللإلمام بجوانب الدراسة، وللإجابة على إشكالية الموضوع ارتأينا أن نخصص:

مدخلا حول مفهوم الغرائبية مشتملا على بعض التعريفات والمصطلحات الخاصة بالغرائبية، مثل الفانتاستيك، الخيال، وكذلك تقاطعات الأدب العجائبي والغرائب.

فصلا نظريا بعنوان: مفاهيم عامة حول أدب الرحلة، وتم التطرق فيه إلى مفاهيم أدب الرحلة، الأنواع، النشأة والتطور.

وفصلا ثانيا تطبيقيا بعنوان التظاهرات الغرائبية في تليخيص الإبريز في تليخيص باريز تم فيه التعريف بالرحلة، وتبيين وتوضيح تجليات التظاهرات الغرائبية بها.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم نتائج الدراسة، يليها ملحق تعريفى لرفاعة الطهطاوي، وأخيرا قائمة للمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.

ومن أجل الإحاطة بجميع جوانب الدراسة تم الاعتماد من خلال هذه الدراسة على المنهج الوصفي، خاصة وأنه الأنسب والأكثر ملائمة للدراسات الأدبية، وذلك من خلال عرض وتحليل بعض الأحداث في الرحلة.

تم الاعتماد في هذه الدراسة على جملة من المصادر أولها كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي، واعتمدنا أيضا على بعض المعاجم لتحديد بعض المصطلحات والمفاهيم، وبعض المصادر ذات صلة بموضوعنا، مثل: كتاب حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، وكتاب أدب الرحلات لأحمد أبو سعد و مقال بعنوان بنية السرد في رحلة محمد علي دبوز -وقفه في دار الرافعي وقبره- للدكتور الحاج جعدم.

ومما لاشك فيه أن كل بحث علمي تعترضه جملة من الصعوبات، وهي تختلف بحسب كل موضوع ولدى كل بحث، ويمكن التطرق لأهم الصعوبات من خلال هذه الدراسة والمتمثلة في سعة مجال موضوع الدراسة وتشعبها، بحيث استدعى ذلك جهد كبير في تحصيل المادة العلمية وتحليلها، والخروج بنتائج لمجال الدراسة، أيضا واجهتني صعوبة العناء في تجميع بعض المراجع المتعلقة ببعض المفاهيم، إضافة إلى معاناتي مع المرض.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل الدكتور جعدم الحاج علي كل ما قدمه لي من يد العون والمساعدة طوال مسيرتي في انجاز هذه الدراسة.

وإن أصبنا فبفضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والله ولي التوفيق.



مَدخَل:

مفهوم الغرائبية

1/ مفهوم الغريب، الغرائبية، نشأتها

اقتترنت لفظة الغريب بلفظة العجيب اقتراناً تلازمياً، حتى بات من الصوبة، بمكان، الفصل بينهما، وربما تداخلاً حتى استعمل أحدهما مكان الآخر، ولعل سبب ذلك هو انطلاق لا هاتين اللفظتين من أرضية لغوية ودلالية مشتركة، وهي الغموض وغير المألوف، بل إن هناك من عد الغريب إحدى درجات العجيب.

أ. التعريف اللغوي والاصطلاحي

-لغة:

وردت لفظة "الغريب" في معجم لسان العرب لابن منظور في قوله: "والغريب: الغامض من الكلام، وغزيت الكلمة غرابة وصاحبه مُغْرَبٌ"¹. وورد في معجم العين للفراهيدي: "والغرباء: الأبعاد أبو عمر: رجل غريب وغربي وشصيب وطاري واتاوي، بمعنى والغريب الغامض من الكلام وكلمة غريبة"².

وقد أورد الزمخشري تعريفاً لغوياً دقيقاً في كتابه "أسس البلاغة" في قوله: تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره ومقول فلان تغرب كلامه و يغرب فيه وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غريب هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة، وقول الأعرابي ليس هذا بغريب الكلام ولكنهم في الأدب غرباء"³. أما الأصفهاني فقد تطرق إلى المفهوم اللغوي لمصطلح الغريب في قوله: "وقيل لكلّ متباعد غريب ولكل شيء فيما بين جنسه عديم النظير غريب وعلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: "بدا الإسلام غريباً وسيعود كما بدا وقيل العلماء غرباء لقلتهم فيما بين الجهال"⁴.

-اصطلاحاً:

يحدّد تودوروف Todorov مفهوم الغريب بأنه الذي: "يدلّ على سرد لأحداث يمكنها بالتمام أن تفسّر بقوانين العقل، لكنّها على هذا النحو أو نحو آخر

¹ محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (غ رب)، ط1، مج 9، دار صادر للنشر، بيروت، 2003م، ص 272.

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م، ص 24.

³ الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2003م، ص 600-601.

⁴ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط5، دار المعرفة، بيروت، ص 359.

مدخل: مفهوم الغرائبية

غير معقولة، خارقة ومفزعة، فريدة معلقة غير مألوفة"، وهو ذات ما حدّده عند تفرّقه بين الغريب والعجيب.

والغريب هو الغامض من الكلام، واغرب الرجل، جاء بشيء غريب والغربة النوى والبعد وشاء مغرب: بعيد¹.

والغرابية لا تظهر إلا في إطار ما هو مألوف، والشيء الغريب ما يأتي من منطقة خارج منطقة الألفة، ويسترعي النظر بوجوده خارج مقرّه².

ب. الغرابية

يعتري مصطلح الغرابية إشكالية في ضبط وتحديد مفهومه؛ وذلك لكثرة المفردات التي ينطوي عليها هذا المصطلح، مثل: العجيب، الخرافة، الأسطورة وما إلى ذلك³.

الغرابية تنتمي: "في الأدب إلى العالم الغرائبي الذي يخضع إلى الخيال المبدع في إنتاجه من جهة، والأسطورة والحلم من جهة أخرى"⁴.

كما أن الغريب والغرائب يمتدان إلى مساحات غائرة في عوالم النفس الخفية المولعة بكل جديد غير معتاد، وهو ما يوسع مساحة الغريب ليشمل كل الأشياء الموجودة في العالم، فلو لم يعتد الإنسان على رؤيتها لبدت له عجيبة وخارقة ومحيرة⁵.

تنتمي الغرابية في الأدب إلى العالم الغرائبي الذي يخضع إلى الخيال المبدع في إنتاجه من جهة، والأسطورة والحلم من جهة أخرى، ويبدو أن زكريا القزويني (682هـ) من أهم الذين سيروا أغوار هذا المفهوم الذي ندرة تناوله في التراث النقدي القديم، فنجد الكثير من الدارسين والنقاد المعاصرين قد ارتضوا توسعا لتوظيف (غرائب) للدلالة على الغريب، ولعلنا لأن جانب الصواب إذ قلنا:

¹ ينظر: حيدر عبد عود وعبد الباسط أحمد مرashedة، العجائبي و الغرائبي و مقارنات المصطلح، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب، المجلد 13، العدد 02، 2016م، ص 407

² عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابية، دار الطليعة، بيروت، 1992م، ص 60.

³ أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد 05، العدد 01، مارس 2019م، ص 112.

⁴ نهاد فخري ومحمود الشّمري، غرابية المشهد الروائي وفاعلية الخيال العلمي في رواية حرب الكلب الثانية للروائي إبراهيم نصر الله، مجلة جامعة الانبار للغات والأداب، مجلد 02، العدد 01، سبتمبر

2019م، ص 89

⁵ محمد تنفو، النص العجائبي، ط1، دار كيوان، دمشق، 2010م، ص 16.

مدخل: مفهوم الغرائبية

"إن هذه الصيغة متداولة عبر المضامين الأدبية القديمة، على الرغم من الحضور المكثف لأدب العجائب والغرائب في التراث العربي والإسلامي، وقد يعود سبب هذا الغياب إلى العوامل الموضوعية التي تتعلق أساساً بالبنية اللغوية للكلمة"، وفي تقدير أن استعمال الغرائب والغرائبية وغيرها من المصطلحات ذات الأداء الوظيفي المتصل بحقل دلالي واحد، إنما هو من تكثف الدلالة وتعميق الفكرة، ومنحها حرية أوسع من الاستحواذ الذهني لدى المتلقي القزويني يعرفه قائلاً: "الغريب: كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات والعهود والمشاهدات المألوفة وذلك أما من تأثير نفوس قوية، وتأثير أمور فلكية أو إجرام عنصرية، كل ذلك بقدره الله تعالى وإرادته، وعرفت الغرائبية حديثاً بأنها: "تيار أدبي وفكراً يعج بعالم تحكمه قوانين متماسكة تجعل من الغريب الموصف مؤلفاً نزول غرابته لحظة إدراكه والانخراط في حلقة جغرافية وأنثروبولوجيا"¹.

وتجدر الإشارة إلى أن تداخل المفاهيم أحد سبل الخلط بين الأحداث السردية الروائية بيد أن السمة الغالبة في أحداث هذه الرواية تميل إلى تمثل الغرائبية جنساً أدبياً يتسم بحضوره الفاعل وأثر البحث أن يتخذ العجائبية مرة أخرى تقاس عليها بعض أحداث الرواية التي تتطوي تحت وظيفة العجائب ومفهومه الإجرائي وملاك الأمر مرده للقارئ المتمرس الخبير والناقد الحاصل، فمناط ذلك يقضي معرفة القواسم المشتركة بينهما ونقاط الاختلاف و في ظن أن معظم المتعرضين لدراسات الأدبيين أكدوا ذلك التداخل الوظيفي في الإجراء والتنظير، وبسطوا ذلك في افتتاحيات دراساتهم².

ج. نشأة الغرائبية في التراث العربي

يعد مفهوم الغرائبية في الثقافة العربية مفهوماً جديداً، حيث أنه في التراث العربي لا نجد عملاً غرائبياً خالصاً، غير أنه إذا بحثنا داخله نجده حافلاً بنصوص غرائبية متميزة، فقد كانت الثقافة العربية سباقات في استثمار العجائبية منذ ما يسمى بالعصر الجاهلي حتى الآن ولعل خير مثال على ذلك ما سمي في التراث بكرامات الأولياء وكتب الرحلات والقصص العربي.

¹ نهاد فخري محمود الشمري، غرائبية المشهد الروائي وفاعلية الخيال العلمي في رواية حرب الكلب الثانية للروائي إبراهيم نصر الله، ص ص 89 – 90.

² نهاد فخري محمود الشمري، غرائبية المشهد الروائي وفاعلية الخيال العلمي في رواية حرب الكلب الثانية للروائي إبراهيم نصر الله، ص 90.

مدخل: مفهوم الغرائبية

فقد بدت ملامح هذا الاتجاه تبرز في العصر الجاهلي، وعلى الرغم من إهمالهم للنصوص النثرية وتكريس اهتماماتهم على الشعر إلا هذا الأخير احتوى هو الآخر على الملامح الغرائبية والعجائبية وتتجلى ذلك في مظاهر متعددة من أهمها: علاقة الشعراء بالحن والشياطين حيث ذأ أنهم كانوا يعتقدون أن لكل شاعر شيطانه الذي يوحى إليه الشعر، ويرون أخبارا كثيرة عن هؤلاء الشياطين فكان صاحب امرئ القيس لاحظ وأصحاب عبيد بن الأبرص هبيد بن الصلادم، وهذا أقرب مثال يقر بوجود جذور للغرائبية في المخيلة العربية، كما آمن العرب القدامى بوجود الأساطير فقد: كانوا يرون الحياة شجرة قوية راسخة تضرب بعروقها في مملكة الموت وتنتشر بفروعها في آفاق السماء وعند أصلها في مملكة الموت يجلس الأمس واليوم والغد يرون جذورها في البئر المقدسة وهي دائما تورق ثم تزهر ثم تثمر ثم تجف ما عليها من ورق وزهر وثمر ليهوي إلى المملكة الموت¹.

2/المصطلحات المتقاربة للغرائبية

تعددت المصطلحات المجاورة للغرائبي عند كثير من النقاد، أدى إلى اختلاف في تحديد مفهومها من باحث إلى آخر وذلك لانشغالها على حقل اللامألوف والمفارقة للواقع، ففي أغلب الأحيان تلامسه الغرائبي وأحيانا تبتعد عنه مما يخلق نوع من الاضطراب لدى القارئ، ومن بين هذه المصطلحات نجد:

العجيب:

يرتبط الغرائبي بمصطلح آخر هو "العجيب" وهو ليس بالغريب عن التراث العربي وهو نوع من الأدب الذي يقدم لنا كائن لنا وظواهر فوق طبيعية يستدخل في السير العادي للحياة اليومية فتغير مجراه تماما، وهو يشمل على حياة الأبطال الخرافيين الذين يشكلون مادة للطقوس والإيمان الديني مثل أبطال الأساطير التي تتحدث عن ولادة المدة أو الشعوب.

ويمكن أن تدرج في مجال العجيب حكايات الخلق الأولى في الكتب المقدسة بالإضافة إلى المعجزات والكرامات التي يشكل ما فوق الطبيعي

¹ نهاد فخري محمود الشمري، غرائبية المشهد الروائي وفاعلية الخيال العلمي في رواية حرب الكلب الثانية للروائي إبراهيم نصر الله، ص 93.

مدخل: مفهوم الغرائبية

إطارات لها، كما أنه يمكن أن تدخل في مجال "العجيب"، القصص التمثيلية ذات الطابع التعليمي والحكايات على لسان الحيوان مثل حكايات الجنيات الخيرات وحكايات الأشباح، إضافة إلى ما يعرف بأدب الخيال العلمي، إن تودوروف Todorov ينظر إليه هنا من ناحية وظيفة بحث، حيث يرى أن القارئ إذا قرر أننا يجب أن نعترف بقوانين جديدة للطبيعة وأنها نستطيع أن نفسر بها الظواهر التي تتيح من خلال الواقع، فإننا نبقى في العجيب¹.

الخيال:

عرف الأستاذ محمد الخضر حسين الخيال بأنه: "قوة تتصرف في المعاني لتنتزع منها صوراً بديعية، وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلفها من طريق الحس الوجدان، وليس في إمكانها المتخيلة، أن تبدع شيئاً من عناصر لم يتقدم المتخيل معرفتها، وقد ربط الخيال بتداعي المعاني مستفيداً من أبحاث علم النفس، وقسم التخيل بناءً على ذلك إلى قسمين:

-**التخيل التحضيري:** وهو أن تتداعي المعاني بواسطة التذكر ثم تنتخب منها المخيلة ما يناسب التجربة وهذا العالم أعلى الانتخاب يسميه علماء النفس تخيلاً تحضيرياً لأنه العمل الذي تتمكن به المخيلة من استحضار العناصر المنسبة للمراد.

-**التخيل الإبداعي:** هو أن تتصرف القوة المتخيلة فيها ثم انتخابه تصرفاً تصوغ بها معاني بديعية هذه العملية تتم بعد أن تنتخب المخيلة ما يليق بالغرض من العناصر تتصرف فيها بالتأليف إلى ينتظم منها صور مستطرفة².

الواقعية السحرية:

الواقعية السحرية لم تكن مجرد تيار ظهر فجأة، أو نشأة بالمصادفة، أو انبثق لمجرد أن كاتباً ما عن له أن يدخل في رواية ما أو مجموعة رؤيا وأعمال قصصية بعرض هذه العوالم الغريبة التي نطق عليها صفة "العجائبية" ولكن الواقعية السحرية، على العكس من ذلك ظهرت نتيجة مجموعة من

¹ حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، ط1، الدار العربية، للعلوم ناشرون، 2009 م، ص ص 32 - 33.

² فاطمة سعيد أحمد حمدان، مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم و البلاغة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1989م، ص 14.

مدخل: مفهوم الغرائبية

العوامل الفاعلة والمؤثرة، من بينها عامل التطور الإبداعي، وقد تحدث عن ذلك الناقد خواكين ماركو في كتابه عن "أدب أمريكا اللاتينية من الحداثة إلى أيامنا حيث رأى أنه:" من بين المفاجآت العديدة التي انطوت عليها رواية "مائة عام من العزلة" تناول الذي حدث لما هو سحري وما هو عجائبي، وهما أمران كان عصر النهضة الأوروبية قد وقف ضدهما واعتبرهما من مخلفات العصر الوسيط عندما ناد بشعار سيادة العقل.

والواقعية السحرية بمفهومها الحديث تقوم على ثلاثة ارتباطيه هي العجائبي، والأسطوري والسريالي، وهذه الارتباطات الثلاثة لها هي نفسها ارتباط آخر أقوى وأهم هو التطور الذي حدث في الفن الحديث... فالواقعية السخرية إذن نموذج أدبي فريد جمع بين القديم والحديث: القديم مثلا في العجائبي (مثلا: قصص ألف ليلة وليلة وحكايات الجات) والحديث ممثلا في استخدام الأسطورة بالمفهوم الفني والأدبي والثقافي بالذي تبلور، في كتب وأعمال كثيرة خلال النصف الأول من القرون العشرين¹.

الخرافة:

أبطالها شخصيات غير عاقلة من الحيوان والجماد، وتكلمها بفكرة وتتكلم وتتصف بالعقل والمنطق، ولها عواطف ومشاعر كالإنسان وتقوم بدور إنساني واقعي، تجيء للتسلية دون أن تستهدف غرضا معيناً، فتصبح من قصص الحيوان، وقد تتجاوز الواقع، وتسرف في الخيال، وتخرج بأبطالها عن حد ممكن فتدخل في نطاق الأسطورة، وقد تجيء للتربية، ونقصد تحقيق غاية تعليمية محددة فتصبح من قصص المواعظ، وتعود إلى أصول بعيدة جدا وتجيء شعرا أو نثرا، ولا نعرف أيهما أقدم على التأكيد، ولكن جمهرة الباحثين ترجع قدم الشعر.

والفرق بين الخرافة والأسطورة، أن هذه بيت شيطاني، ينشأ شعبيا و يولد عفويا، ويخترعه الخيال الفطري لتفسير بعض الحقائق الكونية، وتتميز قصة المواعدة عن الخرافة، بأنها أكبر حجما وأشد تعقيدا، وذات مغزى خلقي (عظيم) دائما، ولا تقتصر كلها على الحيوان وإن كان موعظة فيها أبين من

¹ حامد بن أحمد، الواقعية السحرية في الرواية العربية، دط، المجلس الأعلى للثقافة، ص 5-7.

مدخل: مفهوم الغرائبية

غيره، والقصص التي وردت عنه أكثر عددا وما تبين فيها من رموز جاء متأخرا، فهما أو خلقا، عندما قطع الإنسان شوطا بعيدا في طريق الحضارة¹.
الفانتاستيك :

يرد هذا المصطلح متأخرا عن مصطلح الغرائبية من حيث استعماله ويأتي تارة بالتاء وتارة أخرى بالطاء ومصطلح يأتي مقابلا لمصطلح لدى كثير من النقاد وعلى رأسهم المغاربة، الذين تبناوا هذا المصطلح الأجنبي وأكثر دقة من حيث الدلالة ولا يمكن استبداله بمصطلح آخر كونه يؤدي وظيفته الدلالية بشكل كبير، ويفسر عبد الحي العباس ذلك بقوله: لهذا حافظنا على صورته في اللغة الفرنسية من مبدأ أن العجيب إذا ما ترجع بـ: *Le merveilleux*، وإذا ما ترجم الغربي بـ *L'étrange* فلا يبقى ما يترجم به الفونطاسيك، ومن النقاد العرب الذين استعملوا هذا المصطلح نذكر: سعيد علوش الذي جاء في تعريفه للعجائبي أنه شكل من أشكال القص، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديدة تعارض قوانين الواقع التجريبي².

3/ روافد السرد الغرائبي الحديث

يتكئ السرد الحديث على أجناس متنوعة تتصهر تحت حماة الجنس الروائي هذا ما جعل السرد الغرائبي يستقي مادته الخام من روافد مختلفة كان لها حضور بارز في الثقافات المتنوعة، على اختلاف أقطارها ومن أهم تلك الروافد.

أ.الروافد الدينية:

يحضر الغرائبي في الثقافة الإسلامية ضمن إبداعات وقصص واسعة عصيته عن الذكر الكامل والحصر الشامل، به إذ من النصوص المقدس الديني ممثل في قصص الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ومرورا بما توارثته الثقافة الإسلامية جيلا عن جيل من قصص للمتصوفة والأولياء الصالحين.

¹ الطاهر أحمد مكي، القصة القصيرة دراسة ومختارات، ط8، دار المعارف، 1999م، ص 14.

² عبد المجيد بدرأوي، الأدب العجائبي، مقال، جامعة قلمة، ص 21 - 22.

ب. قصص الكرامات وحكايات الصالحين:

الكرامة في أبسط تعريفاتها تمثل قصة دينية مقدسة مبنية على قوى دينية خفية خارقة للعادة تحتوي على أحداثا مفارقة للواقع ولا تجري إلا على يد من يملك تلك القوى وهو أولياء الله، وتتمثل قوتهم في بركاتهم التي يتركونها في أشخاص أو أشياء لمسوها أو حتى أماكن مروا بها، ومنه فكرامات الأولياء، تلحق بمعجزات الأنبياء من غير أن تساوي بها قداس فمن النفوس الفاضلة نفوس الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن الله تعالى أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع في نفوسهم أنواع الفضائل ونفى عنها أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم¹.

ج. روافد الاعتقاد الجمعي

تتجاوز المكونات اللاواقعية الغرائبية والواقعية في القص القديم بطرق مختلفة الأمر الذي أدى إلى انطوائها تحت أشكال تعبيرية مختلفة كالأسطورة والحكاية الخرافية والحكاية الشعبية... وفي كل هذه الأشكال كان للفارابي بروز نوع بتنوعها ويهدف إلى غايات نفسها².

4/ تقاطعات الأب العجائبي مع الأدب الغرائبي

يذهب تودوروف Todorov على القول بأن: "العجائبي ينهض الحد بين نوعين هما العجيب والغريب وهو بذلك العجائبي الحد الفاصل بين فضائين متجاوزين وهذا يعني أن العجائبي ليس جنسا مستقلا بذاته"، وفي محاولة تودوروف Todorov التفريق بين العجيب والغريب أبان أن الغريب هو الذي تبدو أحداثه فوق الطبيعية على مدار الحكاية، وفي النهاية تلقى تفسيراً عقلائياً، بمعنى أن الأحداث التي تبدو في البداية خارقة أو غير قابلة للتفسير سرعان ما تتحول إلى أحداث عادية ومفهومة، فيكون تفسيرنا إما أن هذه الأحداث لم تقع فعلاً، كأن تكون ثمرة تخيلات غير منضبطة (أحلام، هلوسة، عارض نفسي...)، وإما وقوعها تم نتيجة الصدفة والخدعة، أو ظاهرة غير قابلة للتفسير العلمي، فالغريب ليس جنسا واضح الحدود بخلاف العجائبي، وبتعبير أدق إنه

¹ فاطمة الزهراء العليز، الغرائبية في الرواية العربية والمعاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر - بسكرة، 2021/2020 م، ص ص 74 - 75 .

² فاطمة الزهراء العليز، الغرائبية في الرواية العربية والمعاصرة، ص ص 74، 75، 77 .

مدخل: مفهوم الغرائبية

ليس محدودا إلا من جانب واحد، هو جانب العجائبي، أما الجانب الآخر فهو يذوب في الحقل العام للأدب"، وهو لا يحقق للعجائبي على حد قول تودوروف Todorov إلا شرطا واحد من الشروط الثلاثة له والمتمثلة في وصف ردود الأفعال، ولما كان هذا النوع متعلقا بأدب الرعب الخالص، فإن رد الفعل يمكن اختزاله في الخوف المرتبط بالشخصيات وليس بواقعية مادية تتعدى العقل وهو بذلك عكس العجيب الذي سيتم بوجود أحداث فوق الطبيعية دون افتراض رد فعل¹.

ومن الآثار التي عدها تودوروف Todorov من الغريب معظم أقاصيص إدغار يو التي يقول فيها "أنا لا نعثر في أعمال" بو" على قصص عجائبية بالمعنى الدقيق للعبارة مع استثناء مذكرات س. بودليز والقط الأسود، فجل الأفاصيص تنتسب تقريبا إلى الغريب وبعضها منها يعود إلى العجيب"أضف إلى ذلك المخطط المعثور عليه في سرقسطة، لأن كل الأعاجيب التي وردت فيه فسرت في نهاية القصة².

يميز "خليف شعيب" بين المصطلحين (الغرائبي والعجائبي) بتموضع بينهما وهو الفانتاستيك فيقول ذلك للعجائبي مكونات تختلف في النتيجة عما هو غرائبي وهو ما أدى بالعديد من دارسي الأدب إلى اعتبار (ألف ليلة وليلة) وكتب تراثية وتخيلية أخرى تصب في قطبي العجيب والغريب وذلك أمر منطقي يمكن مقارنته بشكل واضح في الفوارق العجائبي الموجودة في الكتب المقدسة، وما تلاها من تدوينات تصب في المجال نفسه أو تقترب منه، وعلى هذا فإن الفانتاستيك يقابل بين ما هو غرائبي وما هو عجائبي³.

5/ نشأة السرد العربي و تطوره

يعد السرد العربي أحد القضايا والظواهر، التي بدأت بتأثر باهتمام الباحثين والدارسين العرب (...)، فالسرد العربي قديم قدم الإنسان العربي، وأولى

¹ فتيحة بلخالد، تقاطعات العجائبي والغرائبي في أدب الرحلات، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد 5، العدد 01، 2018م، ص 15.

² فتيحة بلخالد، تقاطعات العجائبي والغرائبي في أدب الرحلات، ص 245.

³ شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف دار الأمان - الرباط، 2009م، ص 90.

مدخل: مفهوم الغرائبية

النصوص التي وصلتنا عن العرب دالة على ذلك، حيث مارس العربي السرد والحكي شأن أي إنسان في أي مكان، بأشكال وصور متعددة، وانتهى إلينا مما خلفه العرب تراث مهم، لكن السرد العربي كمفهوم جديد لم يتبلور بعد بالشكل الملائم يتم الشروع في استعماله إلا مؤخرا وبصور شتى.

للسرد العربي استعمالات عديدة، قديمة وحديثة لا رابط بينهما ولا ناظم، ومن بين هذه الاستعمالات: (الأدب القصصي، أدب القصة، النثر الفني، القصة عند العرب، الحكايات العربية...) وما شاكل هذا من المفاهيم التي تستعمل في التراث العربي .

وبذلك فإن مفهوم السرد "يستوعب أشكالا متعددة من الممارسات والتجليات النصية، ويعطي تسميات عديدة ألحقت بتلك الأشكال وفي مختلف الحقب . وذلك على اعتبار أن التسميات السابقة كانت محدودة وضيقة عن الشمول أو كانت تحكمها روايات خاصة، وهذا ما جعلها غير دقيقة عكس المفهوم الجامع، إنه يرصد الظاهرة في مجملها، ويسعى إلى الإحاطة بمختلف حيثياتها و ملبساتها ويغدو تبعا لذلك قادرا على جعلنا في إطار توظيفه التوظيف المناسب لفهم ظاهرة بصورة أحسن وأوضح"¹.

وبذلك فالمفاهيم القديمة تصبح مفهومة فهما خاصا وظيفيا، كما أن دلالاتها تغدو معدودة (...). ، بحيث لا تسهم في إضاءة الظاهرة ولا تعميق النظر إليها، وعليها فقد انتبه العرب المحدثون إلى أن الأدبي العربي متعددة الأنواع والفنون، وظهرت دراسات و أبحاث تتناول بعض هذه الأنواع منفصلة أو متصلة، ولعل أغلب هذه "الدراسات تتفق مجتمعة على أن القصص أو الموروث الحكائي الغربي غني ومهم ويستدعي البحث والدراسة، وفعلا عندما نعود الآن إلى ما تركه العرب في هذا المضمار، سنجد أنفسنا أمام تراث معهم، هذا التراث أثار الانتباه إليه منذ عصر النهضة، لكن ذلك لا يتناسب وما عرفه هذا التراث من إنتاج ضخم لذلك لا يمكننا إلا أن نقول إن دراسة هذا التراث ما تزال قليلة ومحدودة، ومعنى ذلك أن بعض التصورات القديمة حول ما نسميه بالسرد العربي ما تزال تفرض نفسها بالحاح، ومجمل هذا التصور أن هناك ديوانا

¹ آسيا جريو، جماليات السرد العربي القديم ، مطبوعة بيداغوجية، جامعة بسكرة ، 2022-2023 م، ص 8 - 9 .

وحيدا تركه العرب هو "الشكر"، وما عاداه من الأنواع والفنون فلا يرقى إلى الشعر¹.

بمعنى أن العرب القدامى كان اهتمامهم منصب على الشعر، باعتباره ديوان العرب، لكن ديوانا آخر ظل يزاحمه المكانة نفسها على الصعيد الواقعي، بل إننا نجده في أحيانا عديدة يتبوأ مكانة أسمى سواء من حيث الإنتاج أو التلقي، فالحكي والسرد كان موجود يسر بتأني في ظل سلطة الشعر العربي، حيث أنتج العرب "السرد" وما يجري مجراه، وتركوا لنا تراثا هائلا منذ القدم (ما قبل الإسلام)، وظل هذا الإنتاج يتزايد عبر الحقب والعصور، وسجل لنا العرب من خلاله مختلف صور حياتهم وأنماطهم ورصدوا من خلاله مختلف الواقع وما خلفته من آثار في المخيلة والوجدان، وعكسوا عبر توظيفهم إياه... كل صراعاتهم الداخلية والخارجية، كما تجسدت لنا من خلاله مختلف تمثيلاتهم للعصر والتاريخ والكون وصور تفاعلاتهم مع الذات أو الآخر².

6 / تعريف السرد العربي القديم

هي تلك النصوص الحكائية التي شكلت في البيئة العربية إبان المراحل التاريخية الأولى للمجتمع العربي، لاسيما المرحلة العباسية أي تحقق نوع من الاستقرار والثبات للإنسان العربي الذي كان من قبل ذلك يعيش في البادية والصحراء بصورة عشوائية مبعثرة، ومثلما عبر الإنسان العربي عن آلامه وطموحاته شعرا، فقد عبر فيها كذلك سردا³.

وإذا قلنا السرد العربي القديم، فنحن نتقاطع مع الكثير من المسميات لهذا النمط الخطابي من ذلك: التراث السردية، الأدب القصصي، أدب القصة، النثر الفني، القصة عند العرب، والحكايات العربية، الموروث الحكائي العربي...، وما شاكل هذه المصطلحات التي تختلف صياغة و تتخذ مفهوما، وإن كان الناقد سعيد يقطين يحبذ استعمال مصطلح "السرد" ليكون المفهوم الجامع لمختلف الممارسات التي تنهض على أساس وجود مادة حكاية يرتهن إلى انطلاقنا من مقولة "الصيغة" التي توظف في تقديم المادة الحكائية وليست الصيغة هذا غير

¹ آسيا جريو، جماليات السرد العربي القديم، ص 10.

² آسيا جريو، جماليات السرد العربي القديم، ص 10.

³فايزة لولو، خصائص السرد العربي القديم، مجلة حوليات جامعة قلمة للغات والأدب، العدد 19 جوان 2017 م، ص ص 231-232.

مدخل: مفهوم الغرائبية

السرد الذي يصطلح به الراوي، وذلك على اعتبار أن "صيغة السرد"، هي المقولة المحددة لأي عمل سردي من جهة ومن جهة ثانية لأنها المقولة الجامعة التي تلتقي بواسطتها كل الأعمال الحكائية ومن خلالها أخيراً تتجسد (بغض النظر عن بعدها الواقعي أو التخيلي) وبها تختلف عن غيرها من الأجناس و الأنواع، إن السرد العربي هو الجنس الذي توظف فيه السرد وتهيمن على باقي الصيغ في الخطاب، ويحتل فيه الراوي موقفاً هاماً في تقديم المادة الحكائية كما هو الحال خاصة في السير الشعبية كسيرة بني هلال وسيرة عنتر التي كانت تروى مشافهة، كما حضر الراوي أيضاً في النصوص المكتوبة بصيغة تمويهية خيالية على صيغة "حدثنا عيسى بن هشام" مثلاً في المقامات، أو يلقي أيها الملك السعيد "في الليالي... وغير ذلك من الصيغ كما كان سنيين في حنة¹.

لقد استطاع السرد العربي - بهذا المفهوم - أن يكون خطاباً مضمراً طرح من خلاله الإنسان العربي إشكاليات الوجود والكينونة، فالرغبة في تنشيط الحس الجمالي، والعتور على قناعات تحقق شيئاً ما من هول الأسئلة الوجودية، كل ذلك كان محفزاً على ظهور السرد، لكن من مظاهر بدائية تقوم على الخرافة و القصة العجيبة، والنادرة والحكاية، فكل هذه الأنماط السردية إنما نشأت نتاج رغبة إنساني ملحة في أن يكون الحكى فضاء جمالياً أولاً ثم وجودياً.

وبهذا استطاعت النصوص على شاكلة "ألف ليلة وليلة"، و"الامتتان والموانسة" للتوحيدي، و"رسالة الغفران"، و"مقامات الهمذاني"، و"كليلة ودمنة"، و"بخلاء الجاحظ"، و"والحي بن يقضان" لابن طفيل... وغيرها أن تكون متونا سردية تجيب عن تساؤلات الوجودية للإنسان العربي، وتهدئ من حيرته الغيبية بعيداً عن التفسير الارتجالي والمختزل الذي يقوم به الخطاب الشعري².

¹ ينظر: فائزة لولو، خصائص السرد العربي القديم، ص 232.

² فائزة لولو، خصائص السرد العربي القديم، ص 232-233.



الفصل الأول:
مفاهيم عامة حول الرحلة

1/ مفهوم أدب الرحلة

كانت الرحلة ولازالت مرآة لعصرها، وكثيرا ما كانت وسيلة يصفون فيها البلدان والسكان والعُظماء ممن عايشوهم، أو قرؤوا عنهم في عديد المصادر، ويُضمنونها كثيرا من الأحداث التي شاركوا فيها برا وبحرا، ويسجلون انطباعاتهم الشخصية، ويصدرون أحكاما تتوافق ورؤاهم الفكرية، فهي تتميز بالوصف الدقيق لليوميات مع مشاق الطريق وأحوال السفر¹.

يعتبر أدب الرحلات نوعا من أنواع الأدب يروي فيه الكاتب تجربته ومغامراته خلال رحلته إلى بلد ما، حيث يصف الأحداث التي مر بها والتجارب التي عاشها.

أ. التعريف اللغوي للرحلة

جاء في لسان العرب لابن منظور عن الرحلة، (رحل، لرحل، مركب البعير، أو الناقة، وجمعه أرحل ورحال، قال الأزهري: فقد صح أن الرحل والرحالة من مراكب الرجال دون النساء والرحل في غير هذا هو منزل الرجل مسكنه وبيته، ويقال دخلت على الرجل رحله أي منزله)².

أمّا في القاموس المحيط للفيروز أبادي: دار تحل البعير أي سار ومضى والقوم عن المكان، انتقلوا ارتحلوا والاسم الرحلة والرحلة بالضم والكسر أو بالكسر: الارتحال، بالضم، الوجه الذي تقصده والسفر والواحدة³.

وقد ورد في المعجم الوسيط (رحل) عن المكان رحلا ورحيلا، وترحالا ورحلة سار، ومضى، والبعير رحلا، ورحلة جعله عليه الرحال فهو مرحول وأرحل فلات: كثرة رواحله فهو مرحل، واستر حله سأله أن يرحل له وكلب منه راحلة⁴.

ب. تعريف أدب الرحلة

أدب الرحلات من الفنون الأدبية عرفت عند الفراعنة والفينيقيين والرومان والإغريق، كمي عرف لدى العرب، وهو فن له مميزاته الخاصة، فإذا عني

¹ الحاج جندم، بنية السرد في رحلة محمد علي دبور -وقفه في دار الرافعي وقبره-، جامعة حسينية بين بوعلی، الشلف، ص 01.

² محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (رحل)، ص 1608.

³ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط8، تع: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة رسالة للبنات، 2005م، ص 1005

⁴ ينظر: إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، ط5، ج1، دار الفك، 2001 م، ص 334.

الرحالة بتصوير شعوره لوصف ما شاهد وما جرى له أثناء رحلته بنية، إيصال فكرة معينة فإن رحلته تدخل ضمن مجال الأدب لأنه ينفذ ويتأثر ويصف ويصور لنا ذلك من خلال عمله الأدبي¹.

نوع من الحركة وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة لذلك كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.

إن الرحلة القديمة تحرم الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا، وإن اختلفت دوافع الرحيل، وتباينت وسائل السفر، وتتنوعت مادة الرحلة²، واحتوى أدب، الرحلات على مادة وفيرة وغيره تاريخية واجتماعية وجغرافية واقتصادية وأدبية ودينية كما تضمن الحكايات والأساطير: قد لا تسترقي إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة، أو الشعر، أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثلا، ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون و موضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن تخضع لمقابلتها³.

يقول مجدي وهبة وكامل مهندس في كتابه: "إن أدب الرحلات مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات، وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق المناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في أن واحد.

ويعرفه عبد الباسط بدر بقوله قائلاً: "ذلك التأليف النثري المطول الذي يتحدث فيه الأديب عن رحلة تشجع مشاققتها، ومرحلا لها بمدن وقرى، وعبر أجيالا وأودية وصحاري، وواجه أحداثا، ولقي مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته".

¹ عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1974م، ص

² حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، ط1، عالم المعارف، مصر، 1978م، ص 15

³ ينظر: حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت- لبنان، 1983م، ص

وعرفت الموسوعة العربية العالمية: "أدب الرحالة بأنه هو الذي يصور فيه الكاتب، ما جرى له من أحداث، ومصادفة لأمر في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد"، وتعريف الموسوعة يحدد الرحلة بأدبية أسلوبها، مما يخرجها ويميزها عن الرحلات الأخرى، ذات الأهداف العلمية البحتة¹.

أدب الرحلة هو النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، وبمعنى آخر عندما تكتب الرحلة بشكل أدبي نثري متميز وفي قالب لغة خاصة ومن خلال تصور فني له ملامحه وسماته المستقل، فإن فن الكتابة هذا يعد واحدا من الفنون الأدبية².

ج. الرحلة خطاب سردي

لا شك أن الرحلة في أدب الرحلة أمر ترفضه طبيعة الرحالة، وما يتخللها من حوادث ومواقف تستحث الرحالة على التسجيل وفق إستراتيجية خطابية مناسبة يختارها لعد وصياغة هذه الحوادث في أسلوب قصصي يعتمد على الإثارة والتشويق في كثير من الأحوال، وتقديم هذه الأحداث بطريقة أدبية ممتعة يمتزج فيها السرد بالوصف هذا الأخير الذي أصبح، مجالا خصبا يستوعب شهوة القصة، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى شأنه في ذلك شأن النصوص السردية الأخرى كالرواية والسيرة والقصة الفنية... وغيرها من أشكال التعبير السردية، وقد يفوقها سحرا وجاذبية لأنه ينطوي على حقائق واقعية، ولأنها رواية (الرحالة) "هو صاحبها ومجراها والعايز بأحداثها، المحيط بتفصيلاتها لأنه عاشها بجماع فكره لا أحاسيسه" وترتبط أجزاء الخطاب كمعمار نموذجي في وحدة قصصية واحدة مكونة نص الرحلة إذا الرحلة نص قصصي إن لم تتوفر فيها خصائص القصة إنها كما يقول أحد الرحالة " قصة " ارتحال تظل لها حلاوة القصة، وإن لم يكن لها طابعها³.

والخطاب الرحلي له فعاليته المتميزة إذ يمتلك الآليات والشروط التي توفر لها النصية، ما يجعلها تأخذ أبعادا مختلفة تضمن لها الانسجام وشروط التواصل

¹ حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديث إسلام آباد، 2013 م، ص 34.

² حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، ص 34

³ سديرة سهام، أدب الرحلة الماهية، البنية والشكل،-، مجلة البدر، جامعة بشار، 2018م، ص 14.

ضمن الفعل المعرفي لعملية القراءة ومعايير الاتصال الأدبي ولاشك انه يتجلى لدى غالبية النقاد والمفكرين في البنية اللغوية والسردية¹.

إن الرحلة خطاب مرسل ينتج ملفوظاته وفق قواعد وغايات محدودة تتعلق بالرسول إليه وأبرز ما يميز هذا الخطاب الذي يمكن عده خطابا تواصليا هو التنوع في الأسلوب الذي تتقاطع فيه عناصر التخيل والرموز من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره، إنه يمثل لونا أدبيا فريدا يجمع بعض خصائص القصة ويفيد من أدوات فني مهمة كالصورة والقصة مما يجعله ميدانا فنيا ثراء، ويشيع له ذلك إيصال رسالته على اختلافها وتنوعها، وبهذا تعدو الرحلة بكل مؤشرات المعروفة كخطاب الحكايا وكل حكي يستلزم وجود ثلاث لأطراف ثلاثة هي الذات المحكية (الحاكي الرحالة)، خطاب محكي (الحكاية)، (الخطاب الرحلي) المحكي عنهم (كل المشاهدة الحقيقية التي رواها).

إن وجود ملامح القصة في أدب الرحلة قد أسهم كثيرا في زواج هذا اللون الأدبي قديما وحديثا، إذ النفس تواقة ليلة معرفة ما رآه وماعاناها واحتك به، الرحالة وبخاصة حينما يكون الرحالة أحد شخص هذه القصص فالرحلة إذن عامل تحفيز على الحكي القائم على الانتقال من مكان إلى مكان آخر ومن شخصية إلى أخرى تخضع القانون الخطاب الشائع من مرسل ومرسل إليه ورسالة (سارد- سرد- مسرود له) إلى جانب إخلاصها لتقاليد الكتابة والتأليف والافتتاح والختام .

2/ مكونات الخطاب الرحلي

أ. أطراف الرحلة :

إن الرحلة عبارة عن حكي، يستلزم وجود أطراف ثلاثة: ذات حاكية، وخطاب محكي، وموضوع محكي عنه.

-**الحاكي أو الراوي في الرحلة:** هو المؤلف نفسه، وهو الذات المركزية التي تقوم بفعل الرحلة، وتقوم بتنفيذ تلك الرحلة، وهذه الذات، في انتقالها عبر الأماكن المزورة، لا تنفصل عن ثقافتها ومعتقداتها ورؤيتها للعالم، وشأن الرحالة شأن المساح الذي قال عنه الباحث عبد الفتاح كيليطو: " إن المساح ليس مسافرا بدون أحمال، فهو يحمل أدوات لازمة تنظم عمله، والفضاء الذي

¹ الحاج جعدم، بنية السرد في رحلة محمد علي دبور -وقفه في دار الرفاعي وقبره-، ص 01.

يخترقه ليس مرئياً إلا عبر عيون شبكة ثقافية تحضر حصراً وثيقاً أن الراوي يكون حاكياً وموضوعاً للحكي، فهو حاكياً عندما يصف، ويكون موضوعاً للحكي عندما يسرد، وبهذا يقدم الراوي معرفة موضوعية أثناء الوصف، كما يقدم تجربة ذاتية أثناء السرد".

المحكي عنه: وهو السفر الذي أنجزه الرحالة فعلياً، وحديث الرحلة فعلياً، وحديث الرحلة عن السفر جعلها تنتمي إلى "أدب السفر: ولكنها تختلف عن بعض الأنماط التي وطفت السفر بشكل أو بآخر"¹، هكذا يصبح السفر بنية مهنية من جهة، وهي من جهة ثانية بنية متحركة وجاذبة البنى إلى الحد الذي تخضع فيه هذه الأخير لبنية السفر، وبهذه الهيمنة التي تتمتع بها بنية السفر داخل كتابة هذه الرحلة يصبح السفر هو الناظم بمختلف مكونات الرحلة الأخرى من سرد ووصف وأخبار وحكايات وأشعار ومعارف متنوعة.

المحكي أو الحكاية: وهو خطاب الرحلة، ومن المعلوم أن لكل خطاب طريقته الخاصة في البناء، بها يتميز عن غيره من الخطابات، وبما أن خطاب الرحلة موضوعه هم السفر الذي قام به الرحالة، فإن "خطاب الرحالة يتماهى مع الرحالة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية، فهو يبتدئ بتحديد أسباب الرحالة ودوافعها، وزمن الخروج ومكانه، وكلما انتقل الرحالة في المكان واكب الخطاب هذه التحولات، وصولاً إلى النهاية (نهاية الرحلة) والرجوع إلى نقطة الانطلاق، وبهذه المواكبة يكون خطاب الرحلة، عملية تنفيذ لفعل الرحلة، وبعملية التنفيذ هذه يختلف خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات المجاورة التي تقوم على أساس فعل الرحلة، ولكنها تستثمر جوانب منها وتوظفها في خطاب مختلف، هكذا تكون طريقة بناء الخطاب وسيلة لتمييز خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات وبواسطته أيضاً يمكن إخراج مؤلفات تصنف ضمن دائرة الرحلة.

ب. عناصر خطاب الرحلة:

- **المعرفة:** تزخر الرحلات بالعديد من المعارف المتنوعة منها ما هو ديني وما هو تاريخي، وما هو جغرافي، وما هو أدبي، وما هو اجتماعي وغير ذلك...

¹ جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015م، صص 14 - 15.

مما يجعل هذه الرحلة قبلة العديد من الباحثين مختلف المشارب، من أجل منح المعارف التي تهمهم والرحالة، وهو يقدم هذه المعارف إنما يسعى لإفادة القارئ بما يظنه مفيدا له، والمعرفة التي يقدمها الرحالة تخضع لشخصيته وتكوينه الثقافي، وهكذا نجد الرحالة المؤرخ يولي اهتماما أكبر للمعرفة التاريخية، والمتصوف يعني كثيرا بالمعرفة الصوفية وهكذا دواليك وتقديم المعارف في الرحلات ليس مستقرا، لأننا نجد كثيرا من الرحالين ينصون في مقدمات رحلاتهم على أن مقصديتهم هي إفادة القارئ بكثير من المعارف والإفادات¹.

-السردي: لا تتفك الكتابة الرحلية عن السرد، ولا يمكن أن تستغني عنه مادامت تنتقل إلى الملتقي أحداثا وأفعالا قامت بها الذات الكتافة، وهذه الأحداث والأفعال هي الانتقال من نقطة ثم العودة إليها.

والسردي يبدأ مع بدء الرحلة، ويستمر إلى نهايتها، لتتكون المسيرة السردية من مقاطع سردية دائمة الحضور في كل الرحلات، ومقاطع سردية تحضر في بعض الرحلات وتغيب في أخرى، والمسيرة السردية في الرحلات تتخللها محطات يتوقف فيها السرد ليفسح المجال لمكونات أخرى الاشتغال، وهكذا يوقف الراوي السرد ليقدم وصفا أو ليقدمه معلومات ومعارف أو ليسوق شعرا، وبعد الانتهاء من هذا يعود السرد إلى جريانه .

-الوصفي: السرد والوصف نمطان خطابيان يتناوبان على طول الخطاب الرحلي، فالراوي يسرد حنين يتحدث عن المتحرك، ويصف حين يتحدث عن الساكن، وبعبارة أخرى: يتم السرد بالحديث عن الفعل في الزمان، ويتم الوصف بالحديث عن المكان والأشياء أو الأشخاص، والوصف يتطلب انتباها ودقة ملاحظة من الواصف لكي يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأن يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك، والموصوف الذي يلفت نظر الرحالة هو الأشياء الغريبة وغير المألوفة لديه.

-الشعري: نجد كثيرا من الرحلات تطفح بالكثير من الأشعار المختلفة المضامين، والمتفاوتة في القيمة الفنية، وهذه الأشعار إما من إبداع الرحالة أو من إبداع غيره من الماضين أو المعاصرين الذين ينشدهم وينشدونه، والرحالة وهي بحلي

¹ جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص 16.

رحلته بالشعر إنما يفعل ذلك تحت تأثير المكانة العالية التي يحتلها الشعر في الثقافة العربية، وكأني بالرحالة وهو يورد هذه الأشعار بين الفنية والأخرى، يسعى إلى امتناع القارئ بهذا الخطاب الشعري الجميل، وإلى رفع قيمة رحلته باحتوائها عددا وافرا من الأشعار التي توظف في أسبقية مختلفة¹.

ليس من المبالغ في شيء إذا قلنا أن معظم الرحلات على تنوع أصنافها هي رحلات نثرية إلا إذا استثنينا منها العدد القليل، الذي يندرج تحت رحلات الشعرية، ولعل السبب واضح مفاده، أن الرحالة على تشعب حقولهم العلمية، لم يهتموا بالشعر، قدر اعتنائهم بالجانب الوصفي، والمادة العلمية التي تحتويها هذه الرحلات.

3/ دوافع الرحلة

تتعدد الأسباب التي تدفع الإنسان للرحلات، وتحمسه لمغادرة الأوطان وهي لا شك أنها تختلف من شخص لآخر، ومن شعب لشعب، كما تختلف من زمن إلى زمن بحسب الظروف السياسية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية ولكل رحلة أهداف منها:

دوافع دينية: لاشك أنها أشرف الأهداف التي يتمناها الإنسان، حيث تتوق روحه لزيارة الأماكن المقدسة، استكمالاً لدين أو طلباً لمغفرة أو أملاً في توبة، وقد يكون منها التبشير بدين الإسلام والدعوة إليه، أو الرحلة في طلب الحديث رواية ودراية.

دوافع سياحية وثقافية: تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع وقد تكون لنعرف المعالم الشهيرة كالأثار والمنارات والأبراج والكهوف والغرائب والعجائب².

دوافع تجارية: ذكر أحمد رمضان أحمد: "...وإذا أضفنا إلى ما تقدم الرحلة من أجل التجارة التي اتسع نطاقها عند المسلمين في العصور الوسطى، ولم يكتف

¹ جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص ص 16-18

² فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط1، مكتبة الدار العربية لكتاب، 2002م، ص 20

بالارتحال في البر وفوق أديم الصحراء، بل لم يثتم هول البحر من ركوبه والتجار على شواطئه وموانيه بل ظهر منهم المعلمون المهرة والتجار الحاذقون من أهل سيراف والبحرين، ولم يكتف المسلمون بالارتحال من أجل التجارة إلى الشرق الدول الإسلامية، بل يتطلعوا إلى غرب العالم المجهول فوصلوا إلى ساحل بحر البلطيق فتبادلوا المتاجر مع روسيا وفلنדה والسويد والنرويج¹.

رحلات طلاب العلم شرقا وغربا للاستزادة من بحور العلم الذائع صيتها في مختلف المجالات، حيث لا تتوافر على النحو المأمول في بلاد بعينها، وتتوافر في غيرها، وهذا الغرض يزداد الارتحال لأجله كثيرا، خاصة في السنوات الأخيرة، ومثلها أن يبعث المعلم للتعليم، وكذلك السفر للمؤتمرات العلمية ومعارض الكتب الدولية وأخبار العلماء الذين رحلوا لأجل العلم وفي سبيل المعرفة مبنوثة في بطون الكتب فمن أشهر كتب التراث التي حوت ولع السابقين بالرحلة كتاب "الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي" ومن أوني الكتب المعاصرة التي دونت نهل وشغف أسلافنا بالرحلة العلمية "كتاب صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم وتحصيله العبد الفتاح أبو غدة"².

4/أهمية أدب الرحلات

كل عمل يحتاج إلى قيمة علمية وأدبية باعتبارها هي كل ما يراه المغترب، وذلك لأنه يريد أن يعرف ما حوله من الأشياء المتنوعة و الأمكنة المختلفة تلك الأهمية، تكمن فيها يقدمه المؤلف للقارئ من معلومات شتى، تنمي ثقافة فكره.

تعد الرحلة فن نثري يقوم بها شخص ما ينقل من خلاله الأحداث والمشاهد الكثيرة والمميزة للكثير من البلدان، الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحالة عرب ومسلمين جابوا العالم، ودونوا يومياتهم وانطباعاتهم ونقلوا صورا لما شهدوه وخبروه في أقاليم قريبة وبعيدة، لاسيما في القرنين الماضيين الذي شاهد ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النخبة المثقفة".

¹ أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دط، دار البيان العربي للطباعة و النشر والتوزيع، ص ص 13-14

² عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ط1، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ص 53

"الكشف عن طبيعة الرعي بالآخر الذي تشكل عن طريق الرحلة، والأفكار التي ترسبت، طور الرحلة، والانتباهات التي ميزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار"¹، كما أنها تصور لنا بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه وتضمن الكثير من عناصر ثقافة البلدان، وأحوال الشعوب تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرحلات قيمة علمية إنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين"².

5/ القيمة العلمية والأدبية لأدب الرحلة

أ. القيمة العلمية لأدب الرحلة

تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعارف والمدونات التي تمت إلى الجغرافيا والتاريخ بأوثق الصلابة³، ذلك أن الرحالة عندما يتجول في الأصقاع و البقاع فإنه يكتب ما يشاهده وما يعاينه مرة مشعرنا ومرة متعجبا، لأن حياة البشرية وما يحيط بها من ظروف تختلف من منطقة إلى أخرى ثم يقدم صورا وتقارير وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورها من شعوب آسيا وإفريقيا وشطر من أم أوروبا فيستغل الرحالة رحلته تلك لذكر كل التفاصيل عن البلاد التي يزورها فيجمع مادة أنثوا جغرافية غنية مما لا تزال تعتبر حتى اليوم مرجعا أساسيا في دراسة وصف بعض البلدان الجغرافي والعمراني والاجتماعي والاقتصادي⁴، ولا يفوت الرحالة ذكر المعالم الأثرية، ووصف الممالك والمسالك والأصقاع والأقطار ودرس العلاقات الاقتصادية والثقافية وغيرها مما يكتبه الرحالة ويدونه تدوين المشاهد المتأمل في غالب الأحيان من جزاء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وحياتهم، وما ينقله الرحالة يعتبر مادة علمية هامة يعود إليها الجغرافيون والمؤرخون وعلماء الاجتماع والاقتصاد والآداب فمنهم من غلب على كتاباته الطابع الديني، ومنهم من اهتم بالعلم ورجاله، ومنهم من

¹ محمد علي باشا، الرحلة الشامية، ط1، تح: علي أحمد كنعان، سيكو للطباعة والنشر، بيروت، 2002م، ص 09

² حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 15.

³ أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، ط 1، دار الشرق، بيروت، 1961م، ص 05.

⁴ أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، ص 5 - 6.

تحدث عن المدن ووصف المسالك والممالك ولكن أعمالهم جميعا أصبحت لا غنى عنها للمؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الاجتماع¹.

ب- القيمة الأدبية لأدب الرحلة :

تتجلى في كون كثير مما أورده هؤلاء الرحالون في مذكراتهم يمكن أن يأخذ سبيله إلى عالم الأدب والخيال، ويمكن أن تعتبر ما دونه الرحالة مما شاهدوه نموذجا من أرقى النماذج وأروعها في الوصف الفتي حتى المتميز الراقى لم نزل نفتقده في أدبنا وحتى الحديث منه، "وهو الانصراف عن اللهو والعبث اللفظي والإيثار للتعبير السهل المستقيم الناضج بغنى التجربة، وصدق اللهجة الشخصية مما لا نجده متوافرا عند البلغاء والأدباء المحترفين ونجده بقوة عند علماء و فقهاء الدير والمؤرخين وهؤلاء الكتاب الرحالين"².

6/ خصائص ومميزات أدب الرحلة

إن تعددت الرحلات بتعدد أغراضها وأهدافها وتداخلها مع أنواع أدبية أخرى كالمذكرات جعلها قبلة للعديد من الباحثين، وإن كان هذا الفن لا يزال يحتاج إلى دراسات من جوانب أخرى، بما حظي به من مميزات وخصائص ومنها:

-**التنوع:** تحتوي معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما يدونه الرحالة تدوين المعايين في غالب الأحيان من جزاء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالطبيعة وبالناس وبالحياة، بمعنى أنه ينقل ما يراه ليضعه بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع والاقتصاد بين إنه وهو يدون مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض إنما يعمل في خدمة علم الجغرافيا، وما يقال عن الجغرافيا يقال عن التاريخ والأدب والآثار والاقتصاد والأديان والأساطير³.

-لا تخلو كتب الرحالة من الفكاهة والمرح والسخرية مع الامتناع والمؤانسة،

¹ أبو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 203.

² أحمد أبو سعد ، أدب الرحلات ، ص 06.

³ سيد حامد النسيانج، مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا ،دط، مكتبة غريب، ص ص 7- 8.

وأدب الرحلة ينفرد ويتميز من خلال ما يتجلى من الكتابة الرحلية من خصائص تميزه عن باقي الأجناس النثرية الأخرى والتي تتمثل فيما يلي:

- **هيمنة بنية السفر:** إذا كان الإنسان لا يستغني عن الحركة في حياته والتنقل من مكان إلى مكان، فإن العمل الأدبي يساير هذه الحركة المتعلقة بالإنسان، مادام أنه يحاكي واقعه ويتحدث ويشرح مصيره فهيمنة بنية السفر تمنح الرحلة القصد والغاية إذا السفر يصبح في ثنايا السرد من بنية السفر.

- **السرد الذاتي:** لا شك أن السيرة الذاتية تتقاطع مع الرحلة في مفترق طرق، إذ تحضر ذات الرحالة في رحلته حضورياً، فالسيرة حكي استعدادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجود الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية و على تاريخه بصفة عامة فمادامت الرحلة حكي لسفر قامت به هذه الذات فلا غرابة في أن تحضر الذات في الخطاب الرحلي.

- **الحكي بضمير المتكلم مفرداً أو جمعاً:** وهذا تجل من تجليات الذات في أسلوب الكتابة الواقعية، الرحالة رجل واقعي عاش في فترة زمنية معروفة والذين يتحدث عنهم أيضاً واقعيون عاشوا في زمن معرف ومكان معروف، فالأماكن التي يصفها أماكن حقيقية لها وجود فعلي على الأرض، وبهذه الخاصية تتميز الرحلة عن الرواية المقامة المبنيتين على الخيال.

- **دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق:** فالخطاب يبدأ مع انطلاقة الرحالة من موطنه ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود إلى نقطة الانطلاق وهكذا يدور الخطاب مع السفر وينتهي من حيث بدأ.

- **تعدد المضامين وتداخل الخطابات:** يشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية وأوتوغرافية وأدبية، وتتداخل فيه خطابات مختلفة: الشعر الرسالة، الحكاية، الوصف، والسرد وهذا ما يجعله جنس الأجناس أو محصلة الأجناس.

7/ نشأة وتطور أدب الرحلة

أ. أدب الرحلة في القرن الثالث الهجري

من أبرز الرحالين والعلماء والمؤرخين في القرن الثالث الذي أسهموا في أدب الرحلة منهم المؤرخ المعروف بهشام الكلبي الذي ويعد نموذجاً للرحالة الخبير بالجزيرة العربية، وقد صنف عديداً من المؤلفات أهمها " كتاب الأقاليم،

والبلدان الكبيرة، والبلدان الصغيرة، ثم جاء بعد الأصمعي وألف كتاب: الأرضيين والمياه والجبال والبحار"¹.

وإن أقدم الرحلة المدونة في كتب الرحلة هي رحلة السلام الترجمات، وقام سلام الترجمات بتكليف من الواثق برحلة إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج ومأجوج وبدأت رحلته عام 227هـ وقد وصل إلى السد، وتفاصيل رحلته موجودة في " المسالك والممالك لابن خردادبة".

الرحلة الثانية في القرن الثالث هجري هي رحلة التاجر سليمان وهو من تجار العراق الذين ينقلون عروض الهند والصين إلى البلاد العربية وعاش في القرن الثالث الهجري ولم يصل إلينا ما يشير إلى بقية ألمه أو جانباً من حياته لأنه كمان رجلاً عادياً، ولعل الأهم من هذا جميعه أن سليمان كما تعود التجار أن يفعلوا بأن يقصوا قصصهم ومشاهداتهم على ذويهم، ولكنه دون مذكراته عام 237هـ، ولكن لسوء الحظ لم تصلنا في كتاب مستقبل إنما وصلتنا في كتاب أبي زيد السيرافي في القرن الرابع هجري، وفي هذا القرن هناك آخرون الذين دونوا رحلاتهم منهم اليعقوبي وابن خردادبة وابن رسته وغيرهم .

ب. أدب الرحلة في القرن الرابع الهجري :

يقول ميترز meetz في كتابه "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري": يعتبر القرن الرابع الهجري من الناحية السياسية عصر الاضمحلال النهائي للخلافة الإسلامية، ولكن ما ناحية أخرى يعتبر أيضاً عصر ازدهار الحضارة العربية أو النهضة الإسلامية...، ما أشار إليه ميترز meetz ، وهو ازدهار الحضارة العربية وقد تمثل جانب من ذلك في:

- زيادة عدد الرحالة بشكل يفوق الوصف

- ظهور خرائط البلاد الإسلامية لأول مرة، وهو ما يسمى "أطلس الإسلام".

- ظهور بعض المعاجم التي تضم أسماء الأقطار والأماكن المختلفة .

- وصول الرحالة إلى آفاق بعيدة، خاصة الأقطار الشمالية من العالم مثل نهر حوض الكولجا وبلاد الروس والبلغار وغيرها.

¹حافظ محمد بادشاه ، الحجاز في أدب الرحلة العربي ، ص ص 37- 38.

فقد شهد هذا القرن ظهور رحالة كبار من أهمهم المسعودي (ت 346هـ) صاحب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وانب فضلان الذي أوفده الواثق إلى بلاد البلغار ونهر الفولجا، التي كانت تمثل أبعد أطراف العالم الشمالي، وتحصل رسالته التي دونها عن رحلته بمادة إثنوجرافية على درجة عالية من القيمة والطرافة والتنوع¹.

وفي هذا القرن ظهرت أبو دلف "مسعر بن المهلهل" الرحالة الشاعر الصعلوك الذي زار عديدا من البلاد، ومن أهمها الصين، واحتفظ لنا الحموي بشذرات من رسالته التي ضاعت².

ج. أدب الرحلة في القرن الخامس الهجري

تفتح هذا القرن رحلات مهمة قام بها الطبيب البغدادي بن بطلان عام 404هـ إلى الشام ومصر وإنطاكية والقسطنطينية، ولكن كتاب البيروتي (ت 404هـ)، "تحقيق ما للهند من مقولة" وهو ليس كتابا في الرحلات أو الجغرافيا فحسب وإنما يتضمن أيضا آراء في الدين والتاريخ والفلسفة، قد دفع الأدب الجغرافي خطوة مهمة إلى الأمام.

وعندما تتقدم سنوات هذا القرن نحو منتصفه، يشهد أدب الرحلة افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلك الكتاب الفريد، حيث يحتل هذه الصفحة بعض رحالة وجغرافي المغرب الإسلامي، إذ شر عوافي الدخول إلى حضرا العالم على استحياء بعد أن كان قاصرا حالة المشرق، ومنهم أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى التشريق وعاش في مكة تسعة أعوام، و خلف بن كتابا سماها "نظام المرجان في الممالك والمسالك، إلى أن نصل إلى أبو عبيد عبد الله البكري (ت 487هـ) أكبر رحالة الأندلس في هذا القرن وله كتابات منها "المسالك والممالك" و"معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع" والأخير يعتبر أول معجم جغرافي، يتناول ومواضيع عدد كبير من المدن والبلاد الإسلامية وما يخصها من الأخبار والأشعار³.

د- أدب الرحلة في القرن السادس الهجري

¹ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص ص 82-83.

² فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 83.

³ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 84.

يكاد هذا القرن ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقلة حضارية كبرى في هذا المجال، وأول رحلة في القرن المذكور هو أبي حامد الغرناطي الأندلسي عام 508هـ، الذي طاف بالعالم الإسلامي حيث قضى فيها أكثر من 25 عاما وتزوج خلال رحلته، ونشر الإسلام وصنف كتابين هما: "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" و"المغرب عن بعض عجائب المغرب".

ثم نرى الإدريسي الذي رحل في الأندلس ومصر والشام والمغرب حتى آسيا وهو العالم المعمور آنذاك ووصف البلاد التي زارها وجمع مادة عظيمة وصمم كرة من الفضة وتصور كافة تضاريس العالم، وقدمها لحاكم صقلية الأمير الثاني، وسمى كتابه الذي اشتهر كثيرا في أدب الرحلة فيما بعد كتاب "نزهة المشتاق في اختراع الآفاق"، ثم نرى في القرن المذكور أعلاه العالم الفقيه أبا بكر العربي الأندلسي (ت 543هـ) الذي كان أول من استخدم لفظ رحلة في عنوان مؤلف حيث وضع كتاب سماه "ترتيب الرحلة" ويعتبر ذا أول من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة، وقدم لنا مادة ضخمة، تحفل بالمعلومات الثقافية والاجتماعية عن البلاد التي طاف بها¹.

هـ- أدب الرحلة في القرن السابع الهجري :

ياقوت الحموي (ت 626هـ) من أحد الوجوه المضيئة في تاريخ العرب و كان رحالة و عالما جمع بين معارف عديدة وأبحر في علوم كثيرة ، ومن أهم انجازاته كتاباه: "معجم البلدان" و"معجم الأدباء".

لم نرى في القرن السابع البغدادي (ت 629هـ) الذي سمي بشهر واسعة بفضل كتاب صغير ألف بعد زيارته لمصر سماه: "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر".

¹ قوراري السعيد، أدب الرحلة في المشرق، محاضرة رقم 11، سنة أولى جذع مشترك أدب عربي LMD، ص 02.

ونصل مع نهاية القرن إلى رحالة له سمات خاصة، هو الأديب الفقيه محمد العبدري الذي بدأ رحلاته عام 688هـ، وقد تجنب في كل مرحلاته استخدام البحر مؤثرا البر و خلق لنا الرحلة المغربية.

و-أدب الرحلة في القرن الثامن الهجري

زين هذا القرن بموسوعات مهمة و كلها تسهم في أدب الرحلات و خدمته مثل: "نهاية الأربى في فنون الأدب" للنويري، و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، لأبي فضل العمري، و"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للرحالة الأشهر ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي، ونجد أيضا في هذا القرن ابن خلدون الذي لا يحتاج إلى أي تعريف، وكتابه في أدب الرحلة "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"، ومن رحالة هذا القرن أيضا محمد التيجاني لكننا لا نعرف عنه الكثير، إن كانت بعض المؤلفات قد أشارت إليه ، وهكذا أبو بغداد ألف كتابا في أدب الرحلة "تقويم البلدان"¹.

ي-أدب الرحلة في العصر الحديث

الرحلات العربية عادت إلى البروغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف مع مطلع القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر ميلادي فاتصل العالم الغربي بالعالم العربي من جديد وأخذ يتزايد مبلغ بعثات علمية من قبل العرب إلى العالم الغربي كثيرا، وتوجهت رحلات العرب آنذاك إلى أوروبا بشكل خاص وعنيت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوروبا الطبيعية ومشاكل، ثم أعار العرب الاهتمام برحلات نحو الولاية المتحدة الأمريكية بشطريها على جانب آخر ألقى بعض الرحالة العرب بالهم إلى التجوال في الوسط إفريقيا وجنوبها وهذا وقد اعتدوا بتطويق في الهند والصين حتى لم يتركوا أي منطقة إلا وقد رحلوا إليها ووصفوها، فأول من قام من العرب بالمعنى الحقيقي للكلمة في هذا العصر الحديث محمد عمر التونسي سنة 1903م وألف كتابا في رحلته عنوانه "تسحين الأذمان"، وأيضا اشتهر حينئذ فيما يخص الرحلة الطهطاوي، وكتابه "تخليص الإبريز في تخليص باريز"، ومن أشهر الرحالة في العصر الحديث:

¹ ينظر: حافظ محمد بادشاه ، الحجاز في أدب الرحلة العربي ، ص 41- 43.

الفصل الأول: مفاهيم عامة حول أدب الرحلة

محمد فريد الذي سافر إلى الجزائر وتونس وفرنسا، كتابه في هذا المجال هو "مصر إلى مصر"، وعبد العزيز الثعالبي الذي رحل إلى العالم الإسلامي كله طوال الاثنتين عاما وثلاثين وذكر مشاهداته ومشاعره في "مذكراته".
ومن أهم كتب أدب الرحلة التي كتبت في العصر الحديث ما يلي¹:

- السفر إلى المؤتمر لأحمد زكي باشا .
- الرحلة إلى لحسن توفيق .
- رحلة محمد شريف إلى أوروبا لمحمد شريف ،
- رحلات لمحمد لبيل .
- ملوك العرب لأمين الريحالي .
- ذكريات باريس لزكي مبارك .
- الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية لأمير شكيب أرسلان .
- أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب لصالح عبد الفتاح الخالدي .
- رحلاتي إلى البلاد الإسلامية لمحمد الصداف .
- الرحلة الحجازية محمد بن عثمانى السنوسي .
- من نهر كابل إلى نهر اليرموك لأبي الحسن علي الحسيني الندوي .
- وراء المشرفين : رحلة حول العالم للشيخ ناصر العبودي .
- رحلات داخل المملكة العربية السعودية ناصر العبودي .
- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط للشيخ ناصر العبودي .
- ذكريات المؤتمرات (الخارجية) للشيخ ناصري العبودي .
- جولة جزائر المحيط الأطلسي للشيخ ناصر عبودي .
- مؤتمرات إسلامية حضرتها للشيخ ناصر عبودي .
- رحلة المسافات الطويلة للشيخ ناصر العبودي .
- حول العالم في خط منعرج للشيخ ناصر العبودي .
- الإشراف على أطراف المشرق العربي للشيخ ناصر العبودي .

من خلال هذا الفصل والمتضمن مفاهيم عامة حول أدب الرحلة، تبين جليا في نوع من الفنون الأدبية، له مميزات الخاصة، فإذا عني الرحالة بتصوير شعوره لوصف ما شاهد وما جرى له أثناء رحلته بنية، إيصال فكرة معينة، لها

¹ حافظ محمد بادشاه ، الحجاز في أدب الرحلة العربي ، ص 47 .

الفصل الأول: مفاهيم عامة حول أدب الرحلة

خطابها والذي يتكون من أطراف الرحلة وهم الحاكي، المحكي عنه، والحكاية ذاتها، وتتجلى عناصر الرحلة في المعرفة، السرد، الوصف، الشعر، كما أنها لأدب الرحلة دوافع دينية، سياحية، ثقافية، تجارية، وعلمية للاستزادة من بحور العلم وهذا ما يتجلى في رحلة رفاة الطهطاوي.

الفصل الثاني:

التمظهرات الغرائبية في تخلص الإبريز في تخلص باريز

1/ نبذة عن رحلة رفاعة الطهطاوي

منذ الأزل، كان الإنسان مهتمًا بالسفر والتجوال، وكذلك بمعرفة أخبار الأمم السابقة، فهذا الاهتمام يزيد من معرفته بنفسه وبالآخرين، كما كان يولي اهتمامًا خاصًا لقراءة أخبار الكتب القديمة التي تحكي عن رحلات الملوك وشغفهم بالمعرفة والاكتشاف، ومن أهم نماذج الرحلات قصة ذي القرنين الواردة في القرآن الكريم، أبرز نموذج على الرغبة في الترحل، والمعرفة، إذ جاء في قوله تعالى: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها، فرحلة ذي القرنين التي قطع فيها الأرض-شرقًا وغربًا-تغرب في عين حمئة"¹، كانت تقف في كل مرة على ما وجده فيها فمرة، وجد الشمس تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوما لا يكادون يفقهون قولاً، وفي المشرق، وجدها تطلع على جماعة لا يتخذون عنها حجاباً، فالمكان والإنسان كانا من أهم الركائز في رحلته².

وفيما يتصل بالعرب كانت الرحلة جزءاً من تكوينهم الثقافي، فرحلتنا الشتاء والصيف قامت بدور كبير في إعادة تشكيل ثقافة العرب، وأهل مكة خاصة كانوا يلتقون بالأمم الأخرى، ويتعرفون على ثقافتهم، وأجناسهم، وينقلون عنهم ما يرونه مناسباً، وقد نقلت الأصنام إلى جزيرة العرب حين رآها عمرو بن لحي في الشام وأعجبته ويصدق عليها بالنسبة لهم ما ذكره أحد الكتاب الفرنسيين من أن الرحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان³.

ومن نافلة القول: إن الرحلة ببعدها الانتقالي من مكان إلى آخر - كانت جزءاً من عقل الإنسان الجاهلي بوصفها سبيله إلى الحياة (حيث الترحل خلف الكلاً، ومواطن الحياة)،، فالبدوي ملزم بالرحلة والتحول حتى ينتهي الكلاً والماء من المحل الذي نزله ليذهب إلى مكان آخر فيه الحياة، فالرحلة سبيل الحياة،

¹ ينظر: إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية - دراسة لتخليص الإبريز في تليخيص باريز- لرفاعة الطهطاوي، مجلة جامعة عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 22، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص 110.

² إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية - دراسة لتخليص الإبريز في تليخيص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص ص 110-111.

³ إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية - دراسة لتخليص الإبريز في تليخيص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص ص 110-111.

وهو ما جعلها تأخذ هذا المعنى في الأدبيات اللاحقة وكأنها-من وجهة نظره- ردة فعل الإيجاد التوازي بين الإنسان، والطبيعة¹.

يمثل كتاب "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" لرفاعة الطهطاوي مرحلة أولى من مراحل التماس الحضاري، والتحول في العالم العربي من التخلف والجهل والامية إلى الإبصار، ومحاولة الأخذ بأسباب الحضارة، هذه اللحظة التاريخية حساسة، وهامة وتظهر لدى الطهطاوي، بشكل واضح. وهي تصور أيضا ما جاء بعدها من مراحل، قد لا تكون نقية أو بريئة منها، إن المرحلة التي كتب فيها الطهطاوي رحلته ما يزال العالم العربي يحتفظ فيها بكل مكوناتها، وبكل ما نتج عنها من مظاهر، فقد كانت تلك المرحلة مرحلة التأسيس التي لم نستطع تجاوزها برغم ما مر به العالم العربي من تغيرات، وما أصابه من تطور².

2/ الإطار العام لرحلة رفاعة الطهطاوي

ينبغي أن يتضمن كل عمل سردي، وخاصة إذا كان جزءاً من التراث الفني، نقطة بداية ونقطة نهاية واضحة، وذلك وفقاً للمنطق، ليتمتع العمل بتوجيه وأهداف محددة.

تهدف نقطة النهاية التي نشير إليها إلى إنهاء بناء النص على مستوى كتابته، يقوم الكاتب أو المبدع بوضع هذه النقطة ومن ثم يقدم إنتاجه للقارئ، متبعاً في ذلك إستراتيجية التخطيط المسبق والتي تتضمن البداية والوسط والنهاية، وتمثل هذه الركائز الأساسية بنية نمطية في بنائها، ونقصد بها "الهيكل الذي يتبع نمطاً مألوفاً يشبه صورة الرحلة الواقعية".

الأمر الذي يجعلها متكونة من ثلاث دوائر كبرى تمثل خطابات الرحلة بعد كتابتها ونقلها إلى النص³:

خطاب التقديم	خطاب المتن	خطاب الختام
--------------	------------	-------------

¹ إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية -دراسة لتلخيص الإبريز في تلخيص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص 110.

² إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية -دراسة لتلخيص الإبريز في تلخيص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص 124.

³ الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني-بناءها الفني أنواعها وخصائصها-، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، 2013-2014م، ص ص 49-50.

مقدمة	متن	خاتمة
-------	-----	-------

-عنوان الكتاب:

الرحلة التي نحن بصدد دراستها تحمل عنوان "تخليص الإبريز في تليخيص باريز" والعنوان هو واجهة النص التي يراها القارئ أولاً، ويحمل معاني ودلالات تعكس محتوى النص، في اللغة العربية، العنوان يتألف من كلمتين مختلفتين تحملان معاني متناقضة: هما: "عَنّ" و"عن".

عَنّ: تفيد معنى الظهور والاعتراض، وعنوان الكتاب مشتق فيما ذكروا من المعنى، وفيه لغات: عُنُونَت وعُنِينت¹، وجاء في المعجم الأدبي: عَنّ الكتابة، عنونه².

وجاء العنوان جملة اسمية متبوعة بجار ومجرور وإبريز بمعنى خالص، مثل: ذهب خالص كما جاء شرحها في الكتاب وبمعنى أن الكتاب جاء كتليخيص لكل ما هو خالص في باريز، والعنوان "يتصل بباريس، والحضارة الفرنسية"³.

13/ خصائص رحلة رفاة الطهطاوي

تتميز رحلة رفاة الطهطاوي بما يلي:

-تنوع مجالات الغرائبية في رحلة رفاة الطهطاوي، ولجأ الرحالة إلى توظيف الخطابات الأدبية وغير الأدبية التي تتوافق وتلك الظواهر الغريبة التي يشهدونها، فنجد الحدث الغريب، والشخصية الغرائبية، والوصف الغرائبي⁴.

-ألف الكتاب على وجه يكون به نفع عظيم لأهالي بلد المؤلف؛ فإنه أهدى لهم نبذات صحيحة من فنون فرانس، وعوايدها، وأخلاق أهلها، وسياسة دولتها -لما رأى أن وطنه أدنى من بلاد أوروبا في العلوم البشرية والفنون النافعة،

¹ محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ص 437.

² جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1979م، ص 185.

³ إبراهيم بن محمد الشنوي، عبر الثقافة والهوية -دراسة لتخليص الإبريز في تليخيص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص 127.

⁴ أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، ص 117.

أظهر التأسف على ذلك، وأراد أن يوقظ بكتابه أهل الإسلام، ويدخل عندهم الرغبة في المعارف المفيدة¹.

في الكتاب إشارات لافتة إلى العلم وأهميته وقيمته في رفع مستوى الحضارات، وأنه السبيل الذي تتقدم به الأمم، ويتنافس عليه أصحاب الرئاسة، وهو ما جعل ولي النعمة (محمد علي باشا) يحرص عليه، فبيعت في إحضار "...ما أمكنه إحضاره من علماء الإفرنج، وبعث ما أمكنه بعثه من مصر إلى تلك البلاد..."² حتى يرجع إليها شبابها القديم، ويحيي رونقها الرميم³، عملا بالمأثور: "اطلبوا العلم، ولو في الصين"⁴.

أن المنزلة التي احتلها رفاة في التاريخ الأدبي، والمكانة التي حظي بها لدى محمد علي باشا، ومكنته من أن تكون أسباب الحياة العلمية في يده كانتا من أسباب العناية بالرحلة والحديث عنها، وجعلها ذات قيمة تعبر عن رؤية شخصية جديرة بالأخذ والاعتبار، إلا أن هذه العناية لم تتجاوز الإشارة السابقة الذكر إلى الدراسة التحليلية الجادة التي تستتبط مشاعر الشاب المرتحل، وتبين الصورة التي بدت عليها باريس، وتقف على الجهود التي قام بها الطهطاوي لتسويق نصه، وإعطائه قدرا من المصداقية⁵.

4/ البنية السردية الغرائبية في رحلة رفاة الطهطاوي

لإيضاح وتبيين البنية السردية في رحلة رفاة الطهطاوي، يجب أولا التطرق إلى المقصود بالبنية السردية الغرائبية، المقصود بالتمظاهرات الغرائبية في نص الرحلات.

أ- المقصود بالبنية السردية الغرائبية

تعرض مصطلح البنية السردية إلى مفاهيم متنوعة ومتعددة ولعل البحث في مفهومها مقترن بالمناهج النقدية التي كانت تسعى للكشف عن ماهية البنية

¹ إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية -دراسة لتخلص الإبريز في تخلص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص 125.

² رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص 09.

³ رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 7، 8، 17، 20،

⁴ رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 08.

⁵ إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية -دراسة لتخلص الإبريز في تخلص باريز- لرفاعة الطهطاوي، ص 123.

السردية والبحث في بناء عملها داخل الخطاب الروائي، في الرؤى والمناهج والمصطلحات آلت إلى شيوع مصطلح هو السردية الذي يفوق المصطلح من الواجهة التداولية¹، تعتبر السردية وسيلة للكاتب في إنتاج الأفعال السردية التي تحصل بين الشخصيات والأمكنة، والمكونات الأخرى، وبذلك تتحول إلى عملية تحليلية تستند إلى العناصر النصية بتقابلها وإزاحتها.

ب- المقصود بالتمظاهرات الغرائبية في نص الرحلات:

يحفل أدب الرحلة بموروث حكائي يمتزج فيه الواقع بالخيال، والحقيقة بالأساطير والخرافات، وهذا ما جعله مجالاً خصباً لدراسة العنصر الغرائبي حيث تميزت الرحلة بالتنوع والشمولية في أشكال القص والعناصر الفنية، وتنوع عناصر الغرائبية في أدب الرحلة فنجد الوصف الغريب، والشخصية الغريبة، والحدث الغرائبي، والمكان الغرائبي، وكذلك غرائب العادات والتقاليد، واستحضرها الرحالة بأنماط سردية مختلفة، فيأتي بعضها ضمن قصص أسطورية بعيدة عن المؤلف والمنطق، وبعضها قصص واقعية نقلها الرحالة بصورة تخيلية تعاكس الواقع، وتشد ذهن المتلقي تفاعلاً مع الموقف².

يعتبر أحد الباحثين أن التناقض بين الواقع والخيال هو ما يسبب الحيرة والقلق، مما يؤثر على انسجام الفكر واستقرار المشاعر والوجدان، وأمام هذه التناقضات، يجد المتلقي صعوبة في تفسير الأحداث، بين التفسير الواقعي الذي يعتمد على التصديق، واستخدام الخيال لتفسير الأمور بشكل طبيعي وواقعي³.

وقد أشار تودوروف Todorov إلى هذا التناقض بين عالمي الواقع والخيال حيث قال: "إن البطل يشعر بشكل متواصل وبجلاء بالتناقض بين العالمين، عالم الواقعي وعالم الغريب، وهو بنفسه مندهش أمام الأشياء الخارقة التي تحيطه"⁴.

¹ عجوج فاطمة الزهراء، المكان ودلالاته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة دكتوراه في الرواية المغاربية والنقد الجديد، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2017-2018م، ص 193.

² أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، ص 114.

³ مسعود بودوخ، الملمح العجائبي في أدب الرحلات-رحلة ابن بطوطة نموذجاً، مجلة الاستهلال، العدد 10، المغرب، 2016م، ص 09.

⁴ أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، ص 114.

15 عناصر البنية السردية الغرائبية

جوهر عمل الأدب الرحلي يقوم على الشخصية الروائية في ذاتها فلا يمكن فصلها عن العالم الخيالي الذي ينتمي إليه البشر والأشياء، فهي لا يمكن أن توجد في ذهننا ككوكب منعزل بل هي مرتبطة بمجموعة من الكواكب تعيش فينا بكل أبعادها.

أ. الشخصيات:

لا يستقيم بناء سردي مهما كان شكله دون شخصيات تشارك في تحريك الأحداث، ولن يحيد أدب الرحلة عن هذه القاعدة، إذ عمدت الباحثة في تقسيمها لشخصيات الرحلات المدروسة إلى عدة معايير منها معيار التواتر، ويعني "تواتر ذكر الشخصية في نص الرحلة، فكلما كانت نسبة التواتر عالية حول ذلك للشخصية أن تأخذ مكانة أولية وتصنف ضمن الشخصيات" مع أنها تنبه في الهامش إلى أن هذا الحكم غير مطلق. والمعيار الثاني طبيعة الوظيفة التي تؤديها الشخصية، إذ كلما "كانت الوظيفة المنجزة ذات صلة وثيقة بأحداث الرحلة الرئيسية، ولها أثر واضح في تحويل مجرى أحداثها، وتطويرها تطويراً إيجابياً، أو سلبياً، كانت الشخصية المؤدية لهذه الوظيفة أساسية وفاعلة"، علاوة على معيار متعلق بدرجة العناية التي تحظى بها الشخصية من لدن المؤلف أو السارد¹.

وتختلف الشخصية في أدب الرحلة عن الشخصيات في الفنون السردية الأخرى، وذلك لأن الشخصيات في فن السرد تأتي في إطار القصة تدور حولها، أما عن أدب الرحلة فالشخصيات فيها واقعية وتعدد كما تتعدد الأماكن التي يقوم بزيارتها الرحالة، وبالتالي فهي لا تتخذ مساراً معيناً وإنما تأتي عرضاً في مسارات الرحلة المختلفة²، والرحالة هو الشخصية الرئيسية التي تتخذ مساراً محددًا من انطلاق الرحلة وحتى نهايتها، وحضوره يأتي في معظم أجزاء الرحلة إلا حين تتوقف حركية السرد فيقف ليذكر بعض القصص التاريخية أو الدينية للمكان المرتحل إليه.

¹ سعيدة حمداوي، تجليات السرد في أدب الرحلة، مجلة المدونة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، العدد 04، 2015م، ص 107.

² ينظر: أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، ص 115.

ب. الشخصية الرئيسية:

تتمثل الشخصية الرئيسية في رحلة تخلص الإبريز في تاريخ باريز هو: رفاة الطهطاوي، فهو ذلك الشاب الذي الشاب الأزهري وجد نفسه في أهل باريس الصفات والخصال الحميدة، وعلى الرغم من كون الأنا متدينة إلا أنها تصرح بإعجابها بالآخر النصراني، فامتدح الطهطاوي أخلاق الآخر وخصاله فيقول عنه: "اعلم أن الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل، ودقة الفهم وغوص ذهنهم في الغويصات وليسوا مثل النصارى القبضة في أنهم يميلون بالطبيعة إلى الجهل والغفلة، وليسوا أسراء التقليد أصلاً، بل يحبون دائماً معرفة أصل الشيء والاستدلال عليه، حتى إن عامتهم أيضاً يعرفون القراءة والكتابة، ويدخلون مع غيرهم في الأمور العميقة"¹، فلم تكن الأنا تعبر عن الطهطاوي فقط، بل وضع الطهطاوي أنا الأقباط المصريين مقابل أنا النصارى الفرنسيين، ليعبر عن الصورة المتناقضة بين الفريقين، بالرغم من أنهما ينتميان لنفس الملة ولكنهما يختلفان في الهوية². وبهذا الخصوص وضعت الباحثة فاطمة جاسم الغزال، صفات كل فريق منهما فيما يلي³:

الأنا (النصارى الأقباط)	الآخر (النصارى أهل باريس)	
الجهل	ذكاء العقل	01
الغفلة	دقة الفهم والغوص في التحليل	02
التقليد	حب الاستطلاع والقراءة والكتابة	03

لقد اختلف الخطاب الرحلي للطهطاوي في وصف إعجابه بالآخر وتمدنه، فلجأ أحياناً إلى إشارات ضمنية، ولمح أحياناً أخرى، وكثيراً ما نجده يصرح بكل وضوح⁴.

¹ رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 83.

² فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاة الطهطاوي- تخلص الإبريز في تخلص باريز- مجلة حولية الآداب واللغات، المجلد 10، العدد 02، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، نوفمبر 2022م، ص 126.

³ فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاة الطهطاوي- تخلص الإبريز في تخلص باريز- ص 127.

⁴ فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاة الطهطاوي- تخلص الإبريز في تخلص باريز- ص 128.

ج-الشخصيات الثانوية:

❖ المرأة:

ذكر رفاعة الطهطاوي المرأة الفرنسية حيث قال عنها: "ونساء الفرنسيات بارعات الجمال، واللطافة حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال في المتنزهات وربما حدث التعارف بينهم وبين بعض الرجال في تلك المحال، سواء الأحرار وغيرهن، خصوصا يوم الأحد الذي هو عيد النصر¹" المتمثل بالمرأة الفرنسية المتحررة، والمتبرجة، والتي تتمتع باللفظ والتحضر والتمدن ولها الاستقلالية والحرية وتختلط بالرجال².

ويتناول المشهد التالي المقارنة بين صورة المرأة المصرية والفرنسية فيقول الطهطاوي: "وملابس النساء ببلاد الفرنسيين لطيفة بها نوع من الخلاعة، خصوصا إذا تزين بأغلى ما عليهن، ولكن ليس لهن كثير من الحلي فإن حليهن هو الحلق المذهب في آذانهن، ونوع من الأساور الذهب يلبسنه في أيديهن خارج الأكمام، وعقد خفيف في أجيادهن، وأما الخلاخل فلا يعرفنها أبدا، ولبسنهن في العادة الأقمشة الرقيقة من الحرير أو البشت³ وتظهر صورة الأنا المتمثلة في المرأة المصرية التي كشف عنها ببيان صفات لباسها كقوله: "ليس لهن كثير من الحلي وهنا يشير إلى أنا المرأة المصرية الشعبية وارتدائها العديد من المحلل، والخلاخل وتكلفها في الحلي والأساور، على عكس المرأة الفرنسية التي تميل إلى النعومة وعدم التكلف في الزينة⁴".

ويبدو الطهطاوي منفتحا وصريحا في حديثه عن تبرج النساء وإعجابه بجمالهن على عكس المكناسي مثلا الذي أبدى انزعاجه من ذلك "فنجده بيدي انزعاجه من هذا الأمر في مشهد واحد فقط من الرحلة وذلك بسبب وضعه الدبلوماسي الذي يحتم عليه عدم نقد الآخر"، وهذا الاستنكار الذي لن يكرره خلال فصول الرحلة (وبعد العشاء، اجتمع بالدار المذكورة نساء أعيان البلد والضامات بقصد أن يسلمن علينا، فأخبرني الحاكم، فتلكأت عن الخروج إليهن

¹ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 90.

² فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاعة الطهطاوي- تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 129.

³ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 129.

⁴ فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاعة الطهطاوي- تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 129.

لأنه لحقنا من الركوب في الكدش مشقة من كثرة حركاته لعدم إيلافنا ذلك، فألح علينا الحاكم، فلم يمكنني إلا إسعافه، فخرجت فإذا بجمع كثير من النساء قد أظهرن زينتهن وتبرجهن تبرج الجاهلية الأولى، فأظهرن من الفرح والسرور والأدب ما قضينا منه العجب، وقابلناهن بما يجب وانصرفن¹، وهنا لم تعجب الأنا المحافظة بالآخر المتحرر بل نقده وأعاب عليه، فوصف تبرج المرأة الفرنسية بتبرج الجاهلية الأولى².

ب. الحدث الغرائبي:

تتميز الرحلة بالطابع التسلسلي للأحداث، فيبدأ السرد منذ نقطة الانطلاق، ثم محطات السفر المختلفة، وحتى طريق العودة.

كما تميزت الرحلة بالتنوع في العرض، وغنى المادة، وفقا للمسارات المتعددة التي يخوضها الرحالة، وينفتح النص الرحلي ضمن دائرة متعددة المنافذ على أشكال أدبية وغير أدبية، ويتفاعل معها ممتصا جوهرها لاستثماره في تعزيز نصيته سواء في شكل متخللات أو مكونات³.

وفي ضوء ذلك نجد تنوعا جليا في خطاب الرحلة، ما بين السرد الواقعي، والسرد العجائبي الذي يتخلل بعض أجزاء الرحلة ويمنحها بُعدا جماليا، ومن موضوعات السرد الغرائبي ذكر غرائب الشعوب في عاداتها وتقاليدها، وكذلك ذكر بعض الأساطير المتعلقة ببعض الأماكن⁴.

6/ الأحداث الغرائبية في رحلة رفاعة الطهطاوي

هي عبارة عن ثلاثة مشاهد: مشهد الخروج، مشهد المسير، مشهد الوصول، وكل هذه المشاهد نجدها في كل من: المقاليتين الأولى والثانية فكانت الأولى تحت عنوان: (فيما كان من الخروج من مصر إلى دخول مدينة مرسيليا، التي هي فرضية من فرضيات الفرنسيين) وفيها عدة فصول متمثلة في:

¹ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 90.

² فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاعة الطهطاوي- تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 128.

³ شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ط1، رواية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص 56.

⁴ أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، ص 116.

والثانية بعنوان: (فيما كان من دخول مرسيليا إلى دخول مدينة باريس) متمثلتين في فصلان وفي هاتين المقالتين تكلم رفاة بالتفصيل عن هذه المشاهد الثلاث وأولها مشهد الخروج.

أ. مشهد الخروج:

لم يكن السفر في هذه الرحلة فردياً، حيث كان رفاة الطهطاوي يترأس بعثة علمية تضم الدفعة الأولى من الطلبة المصريين الذين تم إرسالهم إلى باريس لغرض الدراسة واكتساب المعرفة، وبشكل خاص في مجال العلوم الحديثة التي لم تكن متوفرة بعد في البلاد العربية، حيث رافقهم وهو شيخ من شيوخ الأزهر ليوجههم التوجيه الديني ولكي يقوم مع مجموعة من رفاقه بالواجبات الدينية والمحافظة عليها في ديار الغرب.

ويُعد مشهد الخروج هو النقطة الأولى للرحلة وبدايتها، وقد ذكرها الرفاعي في الفصل الأول بعنوان: "في الخروج من مصر إلى دخول ثغر الإسكندرية"، ويقول رفاة: "كان خروجنا من مصر يوم الجمعة الذي هو ثاني يوم من شعبان سنة إحدى وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة المحمدية¹، فبعد ركوبهم زوارق صغيرة، توجهوا إلى الإسكندرية وقد وصلوا إليها يوم الأربعاء أي بعد أربعة أيام وهو بتاريخ الثالث عشر من شهر شعبان.

فمكثوا بها 23 يوماً في سرايا الحاكم المصر محمد علي وتحدث رفاعي عن مشهد الخروج في الفصل الثالث من رحلته في ركوب البحر المالح المتصل بثغر الإسكندرية، قائلاً: كان ركوبنا هذا البحر عصر يوم الأربعاء، خامس من يوم رمضان²، بامتطائهم سفينة حربية فرنسية...، وكان مجراها يوم الخميس، سادس يوم من شهر رمضان المبارك وهنا كان رفاة يشده حب الديار والأهل ويشعر بالحنين قبل مغادرة البلد فنجده يقول: "فتفاءلت بأن عقب هذا الفراق يحصل الاجتماع وأن التسليم سيقوم مقام الوداع..."، أثناء الحديث عن المشهد الأول، يظهر لنا المشهد الثاني وهو مشهد السير.

ب. مشهد السير:

يتضمن السفر وجهين، ذهاباً وإياباً، ولكن هناك اختلاف يميز بينهما، فالجزء الأول مفصل ومسهب، بينما الجزء الثاني مختصر وسريع، لكي لا يتكرر أي شيء ولم يروي سوى ما يكمل الجزء الأول.

¹ رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 39.

² رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 45.

خلال هذا المشهد السيري للرحلة، لم يذكر رفاعه أي شيء عن الأيام الأربعة التي قضاها على ضفاف النيل أثناء توجههم إلى الإسكندرية، وذلك من خلال قوله بأنه: (ولا فائدة لذكر بعض البلاد والقرى التي رسينا عليها)¹، كما أنه لم يتكلم عن مدينة الإسكندرية التي قضاها بها ثلاثة وعشرون يوماً، إلا الشيء القليل وذلك لأنه لم يخرج إلى بلد هذه المدينة كثيراً، ومما جاء في حديثه عنها وصفه إياها بأنها قريبة الميل في وضعها وحالتها إلى بلاد الإفرنج لما رآه فيها دون غيرها من بلاد مصر، ولسبب ثاني وهو كثرة الإفرنج بها ويقول الإسكندرية عينة مرسيية وأمودجها².

أما في الفصل الثاني تكلم عن تاريخ هذه المدينة، تحت عنوان "في ذكر نبذة تتعلق بهذه المدينة"، ويقول لخصناها من عدة كتب عربية وفرنساوية وذكرنا ما ظهر لنا صحته، ليقف بنا رفاعه وقفة تاريخية بتكلمه عن تاريخ هذه المدينة العريق وذكر ماضيها الذي تعاقبت عليه الحضارات فتكلم أول الأمر عن تسميتها وانتسابها واختلاف المؤرخون حول ذلك فهناك من يقول: "أنها منسوبة إلى إسكندر الرومي ذو القرنين"³.

وفقاً لرفاعة، يُشير إلى أن الشخص المذكور في الآية الشريفة ليس إسكندر اليوناني، بل هو ذا القرنين الذي هو أقدم من إسكندر اليوناني ويُقال أنه نبي. أما إسكندر اليوناني فهو يُعرف أيضاً بإسكندر الرومي أو اليوناني، وذلك لأن الإغريق القدماء يُعرفون باليونان، بينما يُعرف الإغريق المتأخرون بالأورام. أما الإفرنج فلا يقولون إلا بوجود إسكندر الأكبر بن فليبيش المقدوني ويجعلونه عين ما يعبر عنه في التواريخ العربية، باسم إسكندر ذي القرنين⁴.

وفي الأخير وفي الاتفاق على تسميتها يقول رفاعه: "اتفق كلام العلماء وحكماء الإفرنج على أن إسكندرية تنسب إلى إسكندر الرومي، ويستشهد رفاعه في حديثه عن هذا بقاموس أسماء البلاد أنها منسوبة إلى إسكندر بيك"⁵.

¹ رفاعه الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 39.

² رفاعه الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 39.

³ رفاعه الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 42.

⁴ رفاعه الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 43.

⁵ رفاعه الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 322.

ويقال أنها كانت تُعرف بهذا الاسم قبل أن يُبنى الإسكندرية عليها بحوالي ثلاثمائة واثنين قبل ظهور عيسى عليه السلام، حيث يقول رفاعة: وقال الإفرنج أنها كانت تسمى "نو" قبل فتحها بالإسلام كانت تارة تحت حكم الرومان وتارة تحت حكم الأروام، وفتحت على يد عمر بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب وتكلم عن ما وجد بها من خيرات حين ذاك، حيث أحصيت بالآلاف من العجائب التي وجدت فيها خزانة الكتب، لما حوته من مجلدات وصل عددها إلى سبعمائة مجلد، ويقول رفاعة لعل هذا من مبالغات المؤرخين، كما تكلم عن عدد سكانها والذي كان ثلاثمائة ألف نفس ليعرف هذا العدد تراجعاً فيما بعد.

ليصل بحديثه عنها إلى العصر الحديث، وأنها وقعت في يد الفرنسيين ثم أخرجهم الإنكليز، لتعود ليد الإسلام ويقول رفاعة بتكلم عن حاضرها: وهي الآن تلوح عليها أنوار العمارات بأنفاس صاحب السعادة وبها بهجة التجارة كما أنها كانت في الزمن السابق مركزاً للتجارة، وصارت في هذا دار إقامة صاحب السعادة بها أغلب الأوقات...¹.

وفي الفصل الثالث يتكلم عن مغادرتهم الإسكندرية ونزولهم البحر المالح المتصل بثغر الإسكندرية، وبداية هذا الفصل كانت بإعطاء معلومات عن البحر المالح والتسميات التي تطلق عليه فمنها (بحر الروم، بحر الشام البحر المتوسط، أو الجواني) أما التسميتين الأوليتين لمجاورته لهذين البلدين، أما التسمية الثالثة فلتوسطه اليابسة ثم قام بذكر الفرق بينه وبين البحر المحيط وكل من قبيل ذكر المعالم الجغرافية وذكر هذه المعلومات دليل على سعة اطلاع الرحالة وثقافته، وبعد هذا الوصف الجغرافي يقف بنا وقفة أخرى لوصف السفينة التي امتطوها وهي سفينة حرب فرنسية ويقول في وصفها وكله دهشة وإعجاب بهذا الصنع (لا تغادر في فؤاد الإنسان رعباً)²، والتعجب والإعجاب في قوله: (ورزينة صناعة تجذب قلب الراكب حتى يصير في وسطها صبا محتوية على سائر ما يحتاج إليه من الحرف والصنائع مشتملة على آلات الحروب وعلى الجرجبية محصنة بثمانية عشر من المدافع)³، هذا فيما جاء في وصفها أما فيما يخص سيرها فيقول وكانت الانطلاقة يوم الخميس سادس يوم

¹ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 44.

² رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 45.

³ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 46.

من شهر رمضان المبارك، ووصف هبوب الرياح، وكيف كان خفيفاً، فساروا من غير إشعار بالسير ولم يتألموا من ركوب البحر حتى أنه فيما روى أنه كان ممرضاً مصاباً بالحمى حين نزوله بالمركب وبمجرد السفر وحركة السفينة برئ منها وبقي سير السفينة عادياً لمدة أربعة أيام وبعدها عصفت الرياح وتموج ماء البحر ليعيشوا صراعاً مع العاصفة مدته ثلاثة أيام ويذكر رفاة بعض الأشعار التي تعبر عن هول وخطر هذه العاصفة وما لقوه.

ثم يرحل بنا لوصف طبائع الإفرنج وهنا يركز على النظافة وحبهم لها ومدى اعتنائهم بها، فهم شديدي الاعتناء بالنظافة الظاهرية وهنا نلمح مشاعر رفاة التي تزوج مابين الإعجاب والاستغراب ويعبر عن هذا بقوله: "إن جميع ما ابتلى الله سبحانه وتعالى به قبطة مصر من الوخم والوسخ أعطاه للإفرنج من النظافة"¹.

وهذا لما رآه من تنظيفهم اليومي للسفينة التي كانوا على متنها، تنظيفهم للأرضية، غرف النوم، الأفرشة، وتهوية الغرف،... وهذا من صفات الإيمان على الرغم من أنهم لا يحملون ذرة من ذلك، ومع ما عند الفرنساوية من النظافة الغربية بالنسبة لبلادنا، فإنهم لا يعدون أنفسهم من الأمم كثيرة الاعتناء بالنظافة، وأنه أعظم الناس اعتناءً بنظافة المنازل أهل الفلمنك، وتستمر مسيرة السير في الفصل الرابع الذي تحت عنوان: "فيما رأينا من الجبال وبلاد الجزائر".

وهنا يقدم رفاة وصف دقيق وجميل للطبيعة، كما قدم رصد لتاريخ هذه المناطق ويبدأ هذا الفصل بقوله: "وقد مررنا على جزيرة كريد سبع يوم من سفرنا ورأينا على بعد جبلها الشامخ المسمى عند اليونان أيدا، الشهير بالأمور الغربية في تواريخهم ثم في اليوم الثالث عشر منه رأينا جزيرة سيسيليا وهي مشهورة باللسان العربي² باسم صقالية أو صقلية، فرسم حدودها وقال عنها أنها من أعظم جزائر البحر المتوسط وأخصبها"³ ولذلك كان يطلق عليها في الزمن السابق "شونة رومة" ويتكلم عن تاريخها العريق وأنها كانت سبب في نشوب الحرب بين الرومانيين وأهل قرطاجة ثم انتهى الأمر إلى أنها وقعت تحت حكم

¹ رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 47.

² رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 49.

³ رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 49.

الرومانيين لتنتقل فيما بعد إلى ملوك اليونان، ليفتحها المسلمون ويواصل حديثه وكيف تعاقب على حكمها وملكها حضارات وبعد المسلمون حكمها ملوك الإسبانيين ثم النمسا، لينتهي الأمر بها كجزء من مملكة نابلي الكتان المسماة بوليه وهي ونابلي يسميان عند الإفرنج السيسلتين بتغليب سيسليان على نابلي. ويواصل وصفه فيقول: "وقد رأينا بهذه الجزيرة، على بعد، في اليوم الرابع عشر، الجبل المسمى منتنتا وتكلم عن أصل هذه الكلمة وأنها مركبة من كلمتين إحداهما "منت" معناها جبل والأخرى "أثنا" ويقول بأنه مشهور بلفظة جبل، وهو تحريف لكلمة جبل لأنه أدخله المسلمون في هذه الجزيرة ويصف الجبل بأنه جبل ناري (يخرج منه بالنهار دخان وبالليل لهب) ثم يسهب بالحديث عن الجبال البركانية وصفاتها وما تتميز به ومن خلال هذه التفاصيل يتضح مدى حب الرحالة للمعرفة فلا يمر بمكان إلا ويشده الفضول وحب الاطلاع إلى معرفته والإلمام بكل ما يتعلق به من جغرافيا ورصد للتاريخ وطبائع أهله وكل ما يدور فتلك المنطقة (وهذه من صفات الرحالة) حتى أنك في كثير من الأحيان تنسى بأنك تقرأ رحلة من كثرة وقوفه عند الكثير من الأمور وتفصيله فيها كحديثه هنا عن الجبال البركانية وما تخلفه من خسائر حتى أنه قام بمقارنتها بالزلازل، وتكلم عن أصل البركان وكيفية حدوثه وهذا ما يدخل في علم جيولوجيا الأرض.

وبعد هذا التفصيل الدقيق يتكلم عن رسوهم بمرسى بمدينة "مسيئة" ولم يتمكنوا من دخول هذه المدينة بسبب خوف أهلها من الوباء وأنهم كانوا يأتون لهم بما يحتاجون إليه ويناولونهم هم بدورهم الثمن، ولتحفظهم يضعون الخل في الماعون، وتزودوا من هذه المدينة بكل ما يحتاجون إليه لإتمام سفرتهم بعد إقامتهم بها خمسة أيام.

ومما شاهدوه من بعد قصورها العالية وهيأكلها الشامخة ومن المناظر الجميلة توعد قناديلها قبل الغروب بقليل وتمكث حتى بعد شروق الشمس، ومما شد رفاعه بهذه المدينة صوت النواقيس والذي أطرب سمعه، ويقول في التعقيب عن هذا: وأنشأت في ذلك جملة شواهد لطيفة، وأنشأت فيه قولي:

أَصْبُوا إِلَى كُلِّ ذِي جَمَالٍ وَاسْتُمْ مِنْ صَبَوَاتِي أَخَافُ

وَلَيْسَ بِي فِي الْهَوَىٰ إِرْتِيَابٌ وَإِنَّمَا شِيمَتِي الْعَفَافُ¹

ويتم فصله هذا بحديثه عن مغادرة هذه المدينة في اليوم العشرين من مدة سفره وسيرهم بمحاذاة جبل النار وفي اليوم الرابع والعشرين جاوزوا مدينة نابلي ثم رجوعهم إليها بسبب معاكسة الريح للسفينة ويذكر في ذلك قول بعض الشعراء ومن بينها قول أحدهم:

وَمَهْفَهْفٌ عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِلْ
وَلَمْ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ يَا عُصْنَ النَّقَا
يَوْمًا إِلَيَّ فَقُلْتُ مِنْ أَلَمِ النَّوَى
فَأَجَابَ كَيْفَ وَأَنْتَ مِنْ جَهَةِ الْهَوَى
تَقُولُ لَهُ الْأَعْصَانُ إِذْ هُرَّ عَطْفُهُ
أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّيْنَ عِنْدَكَ قَدْ ثَوَى ؟
فَقُمْ نَحْتَكُمُ إِلَى الرَّوْضِ عِنْدَ نَسِيمِهِ
لِيَقْضِيَ عَلَيَّ مِنْ مَالٍ مَعَ الْهَوَى²

ولم يدخل هذه المدينة لنفس السبب الذي تقدم ويتكلم عن تاريخها فيقول: وهي من المدن العظمى ببلاد الإفرنج، كرسي ملك صقلية وتسمى هذه المدينة باللغة العربية نابل الكتان، وهذا لأن كتانها جيد للغاية، ومكثت في يد الإسلام حوالي مائتي سنة ثم تغلبت عليها النصارى النورمندية ويقول ولم تنزل إلى الآن في يدي النصارى الطليانية.

وفي اليوم التاسع والعشرون مروا بجزيرة قرسقة وهي تحت حكم الفرنسيين، وفيما روي عن تاريخها أنه فتحها المسلمون ولم يمكثوا بها زمناً طويلاً وهي وطن نابليون الشهير باسم بونارته.

وفي اليوم الثالث والثلاثين رسوا على فرضة مرسيليا، فكانت مدة مكثهم في البحر ثلاثة وثلاثين يوماً، وهنا تنتهي الرحلة البحرية لتبدأ رحلتهم من مرسيليا إلى باريس برا وسيأتي ذكرها في المقالة الثانية (فيما كان من دخول مرسيليا إلى دخول مدينة باريس).

وفيها فصلان:

الفصل الأول: (في مدة إقامتنا في مرسيليا): ومما روي عن إقامتهم بهذه المدينة إقامتهم بالكرننتينة قبل دخول المدينة، وقبل الخوض في الحديث عن إضافة هذه المدينة تكلم عن ما قبل في "الكرننتينة" بين علماء المغرب وما وقع بين العلامة الشيخ محمد المناعي التونسي المالكي، المدرس بجامع الزيتونة، ومفتي الحنفية

¹ رفاة الطهطاوي تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 52.

² رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 53.

العلامة الشيخ محمد بيرم، المؤلف عدة كتب في المنقول والمعقول، وله "تاريخ دولة بني عثمان"، من مبدئها إلى السلطان محمود الحالي، محاورة في إباحة "الكرنتينة" وحظرها، "فقال الأول بتحريمها والثاني بإباحتها،..."¹، كما ذكر أيضا تحاورهما في كروية الأرض وبسطها، فالبسط للمناعي والكروية لخصمه!.

ثم يعود ليصف المكان والبيت الذي نزلوا به فيقول بوصفه "إنه متسع جدًا به القصور والحدائق والبناء المحكم"²، وقد أعجبه عمرانها وأشار بهذه البلاد لما رآه فيها من تحضر ورقي وامتلائها بالرياض والحياض.

ومن أول نزولهم بدر بالتعجب والاستغراب لما شاهدوه من أمور غريبة عنهم وأشياء لم تألفها أعينهم في بلادهم، للاختلاف الشاسع بينها وبين مصر فهذه المدينة منبع من الحضارة والرقي.

ومما وجدوه غريب، إحضار خدم لهم يتعلمون بلغات مختلفة غير مفهومة لهم وإحضارهم لكراسي للجلوس عليها، وهم تعودوا الجلوس على السجاد المفروشة على الأرض.

ويواصل حديثه عن مدى تأثره بحفاوة الاستقبال فيصف سفرة الفطور بدقة ومن خلال وصفة يتضح أن طريقة المصريين للمطاعم ووضع المائدة لا تمت بأي صلة لطريقة تقديم الإفرنج للطعام ووضع المائدة، ولهذا وجدته غريباً ومميزاً، فالإفرنج يشتركون في الطاولة ولكن لا يشتركون في أدوات الطعام فلكل واحد منهم صحنه وملعقته وشوكته...

وهناك إناء للملح وآخر للفلل، ويضعون في وسط كل مائدة صحنا كبيراً واثنين، وبعد ترتيب المائدة يأتون بالطبخ في صحون كبيرة ليغرف أحدهم ويقسم على الجميع وما وجدته غريباً تقطيعهم للطعام بالسكين وإيصاله للفم بالشوكة لا بيده، كما جرت العادة عندهم، فلا يأكل الإنسان بيده ولا بشوكة غيرة ولا يشرب من قدحه أبداً ويزعمون أن هذا أنظف وأسلم عاقبة.

ومما شاهدته ورصده عدم أكلهم في صحون النحاس، فهي للطبخ فقط ويستعملون الصحون المطلات وفي حديثه عن ثقافة الأكل والطبخ عندهم ذكر

¹ رفاة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 57.

² رفاة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 58.

مراتب الطعام: (فأول افتتاحهم الطعام يكون بالشربة وبعده باللحوم، ثم بكل أنواع الأطعمة كالخضروات و ثم بالسلطة، وربما كانت الصحون المطلات بلون الطعام المقدم وذلك لأن من عاداتهم لكل طعام صحن فتجد صحون السلطة أخضر منقوش بلون السلطة ثم يختمون أكلهم بأكل الفواكه ثم بالشراب المخدر ويتعاطون منه القليل ثم بالشاي والقهوة، وهكذا الأمر سواء بالنسبة للغني والفقير، كل على حسب حاله)¹.

ثم ينتقل رفاة بعد حديثه عن الطعام إلى التكلم عن آلات الفراش ويقصد بها الأسرة فمن عادة الإفرنج النوم عليها، لا على الأرض كما جرت العادة عند المصريين وسائر العرب ومكثوا في ذلك المحل ثمانية عشر يوماً لا يخرجون منه أبداً، غير أنه متسع وفيه حدائق عظيمة ومحال متسعة للتمشي فيها والتنزه في رياضها وذكر ركوبهم للعربات المزينة التي لا تتوقف عن الحركة ليلاً نهاراً تفرقع وسيرهم بها إلى بيت في المدينة ومكوئهم به منتظرين التوجه إلى مدينة باريس وأثناء هذه الإقامة كانوا يخرجون لتسلي بالمقاهي، وهي ليست مجمع للحراشيف كما في مصر بل لأرباب الحشمة، وتكلم عن تزيينها بالأموال العظيمة النفيسة التي لا تليق إلا بالغناء التام، وهذا مما لا يمكن إيجاده بمصر، كما أن أثمان ما فيها غالية جداً فلا يدخلها إلا أهل الثروة، وأما الفقراء فإنهم يدخلون بعض المقاهي الفقيرة أو الخمارات والمحاشش.

ويعود ليتذكر الشبه بينها وبين الإسكندرية ويذكر الفرق الموجد بينهما وهو اتساع السكك والطرق اتساعاً مفرطاً لمرور جملة عربات معاً في طريق واحد.

ومما أثار إعجابه في هذه المدينة القاعات والأروقة العظيمة والمرايا الكبيرة الموضوعية على جدرانها حتى أنه معظم جوانب القاعدة كلها من زجاج وهذا ما يزيد من رونق القاعة.

ومما رآه غريباً أيضاً وملفتاً للانتباه وجود الدكاكين العظيمة المشحونة بالنساء الجميلات وهذا ما لا يمكن أن تراه في مصر أبداً.

¹ رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 59.

ثم يتطرق إلى وصف النساء الفرنسيات وعن عادات لبسهم ومن عاداتهم: كشف الرأس، والنحر، وما تحته، والقفا، وما تحته واليدين إلى قرب المنكبين¹. ومن عاداتهم البيع والشراء للنساء، أما الأشغال فهي للرجال، فكانت هذه الدكاكين والمقاهي فرجة بالنسبة لهم، ويقول رفاعة: "أول ما وقع عليه بصرنا من التحف قهوة عظيمة عجيبة الشكل والترتيب"²، والقائمة عليها امرأة تجلس على صفة عظيمة وقدامها دواة، وريش، وقائمة، وهناك محل للجلوس، وصبيان قائمون على تقديم الطلبات "ومحل الجلوس مرصوص بالكراسي المكسوة بالمشجرات وبالطاولات المصنوعة من الخشب الجيد وكل طاولة مفروشة بحجر الرخام الأسود والمنقوشة وهنا تباع سائر أنواع الشراب والفتورات"³.

ووصف كيفية تقديم الطلبات وما يتعلق بذلك، والعادة عندهم أن الإنسان إذا طلب القهوة أحضر له معها السكر، ليخلطه فيها ويذيبه، ويقول: ففعلنا ذلك⁴، وهذا مختلف عن عادات العرب يقومون بخلط القهوة مع السكر ثم تقديمها، "وفنجان القهوة عندهم كبير نحو أربعة فناجين من فناجين مصر"⁵.

وتكلم عن الجرائد الموجودة بها وأطلق عليها اسم أوراق الوقائع اليومية ويقول: بأن زائر هذه المقاهي لأول مرة يظن أنها قصبة عظيمة لما بها من كثرة الأشخاص، وتكلم عن خصائص المرايا وعكسه لصور الأشخاص الموجودين بالداخل والخارج وبتكلمه عن خاصية الزجاج أوردت أبيات شعرية قيلت في ذلك.

وأثناء إقامتهم بمرسيليا انشغلوا بتعلم اللغة الفرنسية، ومما ذكره في حديثه عن مرسيليا وجود كثير من نصارى مصر والشام الذين خرجوا مع الفرنسيون حين خروجهم من مصر ولباسهم لملابس الفرنسيين، أما المسلمون فوجودهم نادر، فمنهم من مات ومنهم من تنصر أمثال عبد العال، وأورد قصة "منو" الذي أسلم نفاقا في مصر وتزوج من مسلمة وبعد رجوعه إلى فرنسا عاد إلى

¹ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 60.

² رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 60.

³ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 60.

⁴ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 61.

⁵ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 61.

النصرانية وأقنع زوجته بالدخول إليها وترك دين الإسلام، فتخلت عهن دينها واعتنقت النصرانية.

ومما رآه من جملة المصريين في مرسيليا شخص اسمه محمد، يجيد اللغة الفرنسية ولا يعرف من العربية إلا القليل فسأله عن بلده ببر مصر، فعرف أنه من مدينة أسي ومن أشرفها وأخبره عن اختطاف الفرنسيين له وهو في سن صغيرة وأنه باق على دين الإسلام ولكنه لا يعرف من أمور دينه إلا الله الواحد ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي الفصل الثاني يسرد لنا خروجه من مرسيليا ودخوله باريس والمسافة بينهما والوسيلة المستعملة للسفر من مرسيليا إلى باريس هي العربات المستأجرة ولهم أن يأكلوا منم كيسهم أو يدفعوا قدرا معلوما للعربة والقوت معاً، مدة الطريق ووقت السفر يكون ليلاً ونهاراً إلا وقت الاستراحة، وكل البلاد التي في الطريق فيها مواضع معدة للطعام والشراب ويقول في وصفها ومدحها أنها غاية النظافة والطرافة¹، وأنها مستكملة الآلات والأدوات وفيها غرف للنوم، ثم يصف الانطلاق إلى باريس، وسرنا من مرسيليا سيرا سريعاً، ويذكر عدم تأثرهم بالسفر البري، كتأثرهم بسفر البحر، الرياح ونحوها، ليصلوا إلى ليون ضحوة اليوم الثالث.

وتبعد عن مرسيليا باثنين وتسعة عشر فرسخاً، والمسافة بين (مرسيليا) و(باريس) مائتان وأحد عشرين فرسخاً فرنسويا ومكثوا في "ليون" نحو اثنتي عشر ساعة للاستراحة وساروا منه ليلاً إلى "باريس" ليصلوا إليها صبيحة اليوم السابع، وفيما يصف القرى التي مروا بها يقول: "أنها قرى كثيرة، مشتملة على البيع والشراء والخفر، عظيمة الأبنية مزينة بالأشجار وهي متسلسلة متصلة ببعضها"، وطرقها تحفها الأشجار المرصوصة بوجه مرتب مطرد في سائر الطرق، ومما ظهر لهم في هذه القرى "جمال نسائها وصفاء أبدانهن أعظم من ذلك في مدينة "باريس" وأنهن أقل تزين من نساء "باريس"².

¹ رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 65.

² رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 66.

17 الحيز في رحلة رفاة الطهطاوي

أ. المقصود بالحيز وتمييزه بالمكان:

الحيز أو الأحياز هو الفضاء التي تنتقل فيها الشخصيات في العمل الأدبي عموماً وفي القصة والرواية على وجه الخصوص، بحيث يصعب تصور رواية أو قصة بدون مكان، فهو الوعاء الذي يحتوي الأحداث والشخصيات على حد سواء، أما بخصوص ما إذا كان المكان يشكل سيرة الكاتب أم سيرة المكان فالأمر متداخل جداً وجدلي بشكل مربك، فالكاتب غالباً ما يكتب عن إمكانية تعرف عليها وعاش فيها، والكاتب بالطبع يضيف من خياله الشيء الكثير عن تصويره لهذه الإمكانة¹.

لقي مصطلح المكان اهتماماً وعناية كبيرة في النقد العربي المعاصر، بعد ترجمة غالب هلسا لكتاب (جماليات المكان) لغاستون باشلار، حيث ظهرت فيما بعد دراسات عديدة ولعت بمقولة المكان، وعكفت على تحديد مفهومه ودراسته، والبحث في جمالياته وشعريته حسب الممارسة النقدية للناقد، ومن النقاد العرب الذين اتخذوا من المكان نقطة مهمة في دراساتهم النقدية للسرد الروائي سيزا قاسم التي ترى أن المكان محدد، يتركز فيه وقوع الأحداث، بينما الفضاء الذي أطلقت عليه مصطلح الفراغ أكثر اتساعاً، إذ تتكشف فيه أحداث الرواية، غير أنها تستخدم مصطلح المكان لاتساقه مع لغة النقد العربي، كما تقول: "ورغم أننا نتفق مع الاتجاه إلى التفرقة في الاستخدام بين كلمة المكان والموقع لأنها أكثر دقة في التعبير، إلا أننا التزمنا في هذا البحث استخدام كلمة (المكان) اتساقاً مع لغة النقد العربي².

ويعد الفضاء المصطلح الأكثر تداولاً في النقد العربي المعاصر مقارنة بمصطلحي المكان والحيز، وهو مصطلح حديث النشأة ولا يزال مبهماً، يكتنفه بعض الغموض، وهذا ما جعله مجالاً خصباً للدراسات النقدية.

يعتبر الفضاء من بين المصطلحات الشائكة التي دارت حولها نقاشات متعددة، واختلفت الآراء حول تحديد مدلولها بدقة، إذ يلتبس لدى بعض

¹ حسن نجمي، شعريّة الفضاء- المتخيل والهوية في الرواية العربية-، دط، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000م، ص 28.

² سيزا قاسم، بناء الرواية، دط، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م، ص 106.

الدارسين بالمكان، ويرفض البعض الآخر هذه التسمية، مثل عبد الملك مرتاض الذي يقترح تسمية الحيز بدلا عن الفضاء، ويرى أنها أكثر دقة، بينما تجد تسميته معارضة من فئات أخرى، ويبقى أن الغالبية تعتمد مصطلح الفضاء، لاستغراقه المعنى المقصود¹.

يشير حسن نجمي إلى هذا التداخل بين المصطلحات في كتابه "شعرية الفضاء السردية"، حيث إن المكان أساس للفضاء، وما دام كذلك فكل مكان هو مصدر أفق لأمكنة أخرى، غير أن مفهوم الفضاء أكثر انفلاتا وشساعة من المكان، ويرى ضرورة تمييز الحدود بينهما، غير أن هذا التمييز لا يتضح تماما إلى درجة أن حسن نجمي ينتهي إلى عدم الإلحاح على هذا الفصل فيقول: "إذا كان الفصل بين الفضاء والمكان ضروريا ويستلزم كل قراءة نقدية جدية القيام به. فإنه ينبغي بالمثل ألا نلح عليه كثيرا، بل الأفضل أن نكتفي بتشغيل الفضاء على امتداد الدراسة ولا نذكر المكان إلا حيث ينبغي أن يذكر"²، يبدو أن التقريب بين المصطلحين، أمر بغاية الصعوبة وهذا يؤكد درجة تداخلهما وتشابكهما خاصة من ناحية الدراسة التطبيقية، ومن هذا فإن توظيف أحدهما أو توظيفهما معا يخضع لمقتضيات السياق، والفضاء في الرواية هو أوسع، وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في صيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية"³، يشير الناقد هنا إلى ضرورة التمييز بين الفضاء والمكان باعتبار المكان من مكونات وعناصر العمل الروائي، وكل هذه العناصر تشكل الفضاء الروائي الذي تتألف في مستواه عناصر الحكي، بينما يعد المكان جزءا من مجموع بقية المكونات.

أما الحيز فهو الأكثر من يستخدم هذا المصطلح هو عبد الملك مرتاض، ولا ينفك يذكره في جل كتاباته المتعلقة بالسرد، بل ويتبناه

¹ ينظر: حسن نجمي، شعرية الفضاء- المتخيل والهوية في الرواية العربية-ص 42.

² حسن نجمي، شعرية الفضاء- المتخيل والهوية في الرواية العربية-، ص ص 42-43.

³ حسن نجمي، شعرية الفضاء- المتخيل والهوية في الرواية العربية-، ص 64.

فيقول عنه: "وهو مصطلحنا¹، ويشمل الحيزّ النتوء، والوزن، والثقل، والحجم، والشكل... ويذهب إلى أكثر من ذلك، إذ يقرّ بأنّ مصطلحه هو الأنسب والأصحّ فالفضاء: "قاصر بالقياس إلى الحيزّ لأنّ الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ"²، أما المكان: "والمكان في حال أخرى ترجمته غير سليمة، ولا دقيقة"³، "وإذا كان للمكان حدود تحده، ونهاية ينتهي إليها، فإنّ الحيزّ لا حدود له ولا انتهاء"⁴، ويؤكد الدكتور الحاج جغدم على أن الحيز في أي عمل سردي لا يقل أهمية عن المكونات السردية الأخرى⁵.

ومن خلال ما سبق يتضح جلياً أن الحيزّ يبدو واضح المعالم، وهو يجمع بين المكان من جانب جغرافي والفضاء الواسع الذي يلف كل الأمكنة في حركتها وتغيراتها.

ب. الحيز في رحلة رفاة الطهطاوي -الحيز المفتوح:

الحيز المفتوح الذي يأخذ صفة الانفتاح لدى الراوي على بعض الأمكنة وهو حيز كبير أو صغير قائم أو متحرك، ثابت أو متغير، يحتوي الحدث والشخصية والفكرة، ويفتح على الآخر مباشرة أو بالواسطة، ويلاقيه الصلبة أو التفاعل أو التأثير بحيث لا يبقى... منكفئاً على ذاته يتحجب بالجدران الحاجزة ويفصل عما سواه بالعوازل... والأبواب، وهذا المكان إما أن يكون مفترضاً تخييلياً وهو الأندر، أو يكون موضوعياً صرف وهو الأكثر، أو يجمع بينهما وهو الأعم، وفي جميع هذه الضروب يعد المجال الأفضل للحركة والميدان الأصلح لإرادة التغيير والتحول، ودفع عملية التطور نحو الأمام، وهذا النوع من النقاطات يعزز دفع الأمكنة نحو جمالياتها، إذ إن الفرد حين يعايش المكان المفتوح يترك أثره بوضوح، ويسقط عليه كل حيثياته وتمثلاته فيغدو إنسان آخر⁶.

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد-، دط، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص 122.

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد-، ص 121.

³ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد-، ص 122.

⁴ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد-، ص 125.

⁵ الحاج جغدم، بنية السرد في رحلة محمد علي ديبوز -وقفه في دار الرافعي وقبره-، ص 18.

⁶ جعفر الشيخ عبوش، السرد ونبوءة المكان، ط1، دار غيداء، عمان، 2015م، ص ص 108-109.

***البحر:**

وقد ذكر الطهطاوي البحر في الفصل الثالث من المقالة الأولى: إن البحر في كتاب الطهطاوي هو مكان مفتوح ويعتبر منطقة العبور والتنقل وذلك في قوله: "وكان ركوبنا هذا البحر عصر يوم الأربعاء، خامس يوم من رمضان"¹. وورد ذكره في قوله: "ولازلنا نسير من غير شدة تحرك واضطراب نحو أربعة أيام، وبعدها عصفت الرياح وتموج ماء البحر وتلاعب بذات الألواح تلاعب الأشباح بالأرواح، فلازم أكثرنا الأرض وتوسل جميعنا بالشفيع يوم العرض"².

وفي هذا المقطع من الكتاب وصف لنا الطهطاوي لحظة غضب البحر وهوله الكبير بعدما كان يسير في يسر وسلامة، ونلاحظ هنا أن الطهطاوي أعطى للبحر حقه من الوصف الكامل والتأمل فقد جعل القارئ يتخيل تلك اللحظات ويتشوق لخوض غمارها.

وذكر البحر في كتاب الطهطاوي أثناء الذهاب والرجوع فنجد البحر عندما ذكره الطهطاوي أثناء انطلاق الرحلة يأخذ صفة المكان المعادي لأنه خلال رحلته شق طريق الهلع وشعر بالخوف هو ومن معه من هيجان البحر.

فالمكان المعادي هو: "المكان الذي يأخذ تجسيدات" في السجن، الطبيعة، من البشر، الغربية، المنفى، ويتخذ هذا المكان صفة الأبوية بعمومية للسلطة في داخله"³.

وذكر لنا أيضا أنها اعتقاد الركاب أنهم هالكون لا محال، ويظهر ذلك عندما لازم أكثرهم الأرض، فالمؤمن الصادق المفوض أمره الله لا يخشى من أمره الحكيم، فمهما كان العبد ضعيفاً فالله سميع بعبده فالدعاء درب الاستجداد فهو لا يضيعه ولا يرجعه خائباً، حيث قال⁴:

لما ركبا ببحر

¹ رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 46.

² رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 46.

³ سلمان كاسد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، دط، دار الكندي، الأردن، 2003م، ص 129.

⁴ رفاة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 46.

وكاد من خاف يتلف
على الكريم اعتمدنا
حاشاه أن يتخلف

وذكر البحر أيضا أثناء رجوعه إلى مصر في قوله: "ولنذكر هنا رجوع العبد الفقير إلى مصر ليتم عرض هذه الرحلة فنقول: خرجنا من باريس في شهر 03 رمضان سنة 1246هـ وسرنا نقصد مرسيليا لنركب البحر ونرجع إلى إسكندرية"¹.

*الجبال:

يعد الجبل مكانا طبيعيا جميلا، خصه الله بوقار وهيبة وشموخ وهو أحد الأماكن المفتوحة التي تساعد على ممارسة النشاطات بكل حرية مطلقة وبدون قيود.

وقد ورد الجبل في كتاب الطهطاوي كمكان العبور وذلك في قوله في الفصل الرابع من المقالة الأولى فقال: "ورأينا على بعد جبلها الشامخ المسمى عند اليونان إيدا"²، وأيضا في قوله: "وهذا الجبل جبل نار، فإنه يخرج منه بالنهار دخان وبالليل لهب، وقد يقذف مواد حجرية محترقة"³، وذكر رفاعة الطهطاوي الخصائص الحقيقية لهذا الجبل من ارتفاع ودورة قاعدية ودائرة فوهته فيقول: "وقد ذكر أرباب رصد هذا الجبل أن ارتفاعه على ظهر سطح البحر ألف وتسعمائة قدم وثلاث أقدام وإن دورة قاعدته نحو خمسة وخمسين فرسخا فرنساويا ودائرة فوهته ربع فرسخ"⁴.

*مدينة باريس:

تشكل المدينة أحد الفضاءات الأساسية التي ساهمت في تكوين الشخصيات القصصية وأثرت في مسار حياتها صاغت فهم عاداتها وتقاليدها فيها ولدت ونشأت منتقلة بين مدينة وأخرى، حيث يكشف المتلقي عن طبيعة علاقة

¹ رفاعة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 294.

² رفاعة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 50.

³ رفاعة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 50.

⁴ رفاعة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 71.

الشخصيات بالمدينة التي يقيم بها، فيها تمثل المسرح الذي يكون للشخصيات فيه من أدوار في الحياة¹.

وتعد باريس المكان الذي ألف فيه الطهطاوي كتابه، وهي العنصر المساهم في إنجاز "الفكر والتشكيل" ورد ذلك في المقالة الرابع في الفصل الرابع فنجد قوله في بعض الممارسات بينه وبين بعض كبار علماء الفرنسية أوراد في كتابه صورة من مكتوب: والتي كانت من الداعي سلرستري دساي الباريزي: "إلى حبيبنا الشيخ رفاة الطهطاوي حفظه الله وأبقاه أما بعدك، فإنه سيصلك مع هذا ما طلبته منا من الشهادة بأننا قرأنا الكتاب المشتمل على حوادث سفرك، ولكل ما أمعنت فيه النظر من أخلاق الفرنسية وعوائدهم وسياساتهم وقواعد دينهم وعلومهم وآدابهم وجدناه مليحاً مفيداً يروق الناظر فيه، ويحجب من وقف عليه ولا بأس أن نعرض خط يدينا على "مسيو جومار"، وإن شاء الله يحصل لك بمصنفاك هذا خطوة عند حضرة سعادة الباشا وينعم عليك بما أنت أهله ودمت على أحسن حال².

وقد ذكر الطهطاوي باريس في الفصل الأول من المقالة الثالثة واصفاً باريس قائلاً: "ثم إن هذه المدينة مشقوقة ومحاطة بصوف أشجار مرصوفة على سمت الخطوط المتوازية لا يخرج بعضها عن بعض أبداً وعلّة منوالها بطريق شبرا "أبي زعل" و"جهاد أباد" وهي مورقة في أيام البحر ويستظل المار بها من حر الشمس"³.

*الشوارع:

يعد الشارع فضاءً مفتوحاً، يحمل ذكريات الإنسان المفرحة أو المقرحة... ويمنح السير في الشارع نفسية المرء بعض الراحة التي لا يجدها في بيته المزدهم أو الفارغ من الحب⁴.

¹ محبوبة محمدي محمد أبدي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م، ص45

² محبوبة محمدي محمد أبدي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص 210.

³ محبوبة محمدي محمد أبدي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص 74.

⁴ محبوبة محمدي محمد أبدي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص 52

وقد ذكره الطهطاوي في قوله في الفصل الأول من المقالة الثالثة واصفًا إياه بقوله وسطح أرض باريس صنفان، فالأول "جبس" والثاني "طين"، ماء نهر "السين بعد زيادته وأرضها مركبة من راقات مختلفة، فالراق الأول مزرعة طينية مرملة ذات حصى، الثاني طفل مختلط بجبس وصدف، الثالث طفل صواني، الرابع طفل جبري صدف، الخامس حجر الجير المخلوط بصدف، السادس البحر الملح، السابع طين شبيه بالإبليزي، الثامن من طباشر وجير مفحوم طباشيري"¹.

"وفي المدينة عدة فسحات عظيمة تسمى المواضع، يعني الميادين كفسحة الرملية بالقاهرة في مجرد الاتساع لا في الوساحة، وعدها خمسة وسبعون ميدانًا وبهذه المدينة أبواب خارجية برانية كباب النصر بالقاهرة، وهي ثمانية وخمسون بابا وبهذه المدينة أربع قنایات من صنف المسماة عيونًا وثلاثة دواليب لجري المياه بالنواعير إلا أنها عظيمة، وستة وثمانون صهريجًا ومائة وسبع عشر حنفية على الطريق"².

*المنتزهات:

المنتزه أو الحديقة عبارة عن مساحة من الأرض مزروعة من صنع البشر بمختلف أنواع النباتات من الأزهار إلى الشجيرات فالأشجار الباسقة، وتكون منسقة الشكل ومجهزة لاستقبال الناس لممارسة أي نشاط يحبونه في الهواء الطلق.

*الأنهار:

النهر مجرى مائي يصب في البحر يتألف عادة من مجرى رئيسي تغذيه السواعد والفروع. وذكر الطهطاوي النهر في الفصل الأول من المقالة الثالثة في قوله: "ويشقها نهران أحدهما -وهو الأعظم- يقال له "نهر السين" بفتح السين والآخر نهر غوبلان"³.

¹ رفاة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 80.

² رفاة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 81.

³ رفاة الطهطاوي، تليخيس الإبريز في تليخيس باريز، ص 76.

وتعد مياه نهر السين من أنفع المياه بما تعود به من فائدة كبيرة على صحة الأبدان "ويفرع على ذلك اعتبار مائها في فن الطب من الأمور المناسبة لصحة الأبدان وأنه يحسن تطيب وطبخ الخضراوات بها دون غيرها وتحليل الصابون بها للغسل ونحو ذلك"¹.

ويتكون من ثلاث جزر وهذا في قوله: "وفي نهر السين ثلاث جزائر: إحداها تسمى "جزيرة الميتة" وكان بها باريس القديمة"².

وقارن الطهطاوي بين النزهة في نهر السين ونزهته على نهر النيل، فرغم ما يتميز به نهر السين من نظافة خلابة ومنظر جميل إلا أن الطهطاوي يفضل نزهته على نهر النيل (نهر بلاده)، ويفضل طعم ماء نهر النيل على نهر السين فيقول: "وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والمقياس، فإن نزهة الإنسان في الروضة والمقياس لا تضاهي، لأن الخليج يعبر مصر والصين يعبر طباريس إلا أن نهر السين بتمامه يشق باريس وتجري به السفن عظيمة الوسق، وبه الأرصفة الجيدة والنظافة على حوافيه ومع ذلك فنزهته غير سارة وشتان أيضا بين ماء "النيل" و"السين" من جهة الطعم وغيره"³.

-الحيز المغلق

الحديث عن الحيز المغلق هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كغرف البيوت، والقصور، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، وقد تكون مصدرا للخوف"⁴، ومنه نقول أن المكان المغلق يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أكثر بكثير بالنسبة للمكان المفتوح: "وقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة"⁵.

¹ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 76.

² رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 76.

³ رفاعة الطهطاوي، تليخيص الإبريز في تليخيص باريز، ص 78.

⁴ مهدي عبيد، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه -حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد-، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م، ص 43.

⁵ أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية -دراسة بنيوية لنفوس ثائرة-، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 59.

***الغرف:**

الغرفة عبارة عن مكان يرمز إلى الحياة الداخلية والحماية من العدوان الخارجي¹.

وصف الشيخ الطهطاوي الأوض (الغرف) التي رآها أثناء إقامته في مدينة باريس بإسهاب، فذكر نوع الحيطان والطلاء، ونوعية القرميد المستعمل والمدخنة والساعة وغيرها "ثم إن حيطان الغرفات والأرشن من خشب كما تقدم وهم يطلونه بالطلاء، ثم يسترون الحيطان بورق منقوش نقشًا نظيفًا... وأرض أوضهم مبلطة بخشب أو بنوع من القرميد الأحمر... وحول الساعة من الجهتين أنه من تقليد الرخام الأبيض أو من البلور فيها أزهار أو تقليد أزهار... وفي غالب أوضهم آلات الموسيقى المسماة "البيانو"².

وتوجد غرف مخصصة للشغل والقراءة وتضم الكثير من الأشياء: "فإذا كانت الأوضة" أوضة شغل وقراءة ففيها طاولة مشتملة على آلات الكتابة وغيرها... وربما رأيت على طاولة الشغل أوراق الوقائع على اختلاف أجناسها"³.

***بيت كرنيتية:**

يعد البيت المكان الأول الذي يوجد فيه الإنسان فهو عالم الشخص تتكشف خبايا نفسه وفيه يعبر عن مواقفه إزاء الناس والأشياء، فهو مكان الألفة والحماية ويشكل فضاء البيت الأسري أحد الفضاءات المهمة التي يهتم به القاص اهتمامًا خاصًا لما تتميز به من أهمية خاصة على الصعيد النفسي وبما تشير عليه عملية التذكر من أحاسيس ومشاعر"⁴.

أول بيت أقام فيه الطهطاوي عند وصوله لفرنسا وهو يقع خارج مدينة مرسيليا أقام فيه مدة ثمانية عشر يوما -لا يخرج منه أبدا- فتلك كانت عادة الفرنسيين⁵، أن من أتى من البلاد الغربية لا بد أن (يكرتن) قبل أن يدخل المدينة، هذا البيت بالنسبة للطهطاوي كان بيتًا للاستراحة لعد السفر الطويل، فهو بيت يتميز بمساحته الشاسعة، ويوجد به حدائق وحياض ورياض للتنزه فيها ترويجا

¹ محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص 60

² رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 121.

³ رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 120.

⁴ رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 57.

⁵ رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 78.

عن النفس مكثنا في هذا المحل 18 يوما ولا نخرج منه وهو متسع جدا وفيه حدائق عظيمة¹.

ووصف الطهطاوي بدقة السفارة وما تحتويه من أشياء، ثم مدوا السفارة للفظور، ثم جاءوا بطليات عالية، ثم رصوها من الصحن البيضاء الشبيهة بالعجمية، وجعلوا قدام كل صحن قدحا من (القزاز) وسكينًا وشوكة وملعقة، وفي كل طبلية نحو قزازتين من الماء، وإناء فيه ملح وآخر فيه فلفل، ثم رصوا حوالي الطبلية كراسي لكل واحد كرسي²، وهذا يدل على اهتمام الفرنسيين بالترتيب والتنظيم، أعجب الطهطاوي بمظاهر التقدم والحضارة "ولاسيما عندما قارنها بحياة بلاده المتأخرة آنذاك"³.

*بيوت أهل باريس:

وصف الطهطاوي بيوت أهل باريس وصفاً يعكس صورة واضحة لهذه البيوت، إن البيت في العادة مصنوع من أربع طبقات، بعضها فوق بعض ماعدا البناء الأرضي فلا يحسب دورا وقد يصل إلى سبعة أدوار، وغيرها تحت الأرض من المخادع التي تستعمل أيضا لربط الخيل أو المطبخ وذخائر البيت، وخصوصا النبيذ والخشب للوقود⁴.

ويرى الطهطاوي أن هناك تشابه بين بيوتهم وبيوت القاهرة من حيث تعدد المساكن داخل البيت الواحد، ثم إن البيت عندهم كما في بيوت القاهرة مشتمل على عدة مساكن مستقلة، ففي كل دور من أدوار البيت جملة مساكن، وكل مسكن متنافذ -الأوضاع-⁵.

وتنقسم البيوت عندهم حسب أحوال الساكنين إلى ثلاث مراتب: وقد جرت عاداتهم بتقسيم البيوت إلى ثلاث مراتب: المرتبة الأولى بقي عادي والثانية بيت أحد من الكبار، والثالث: بيوت الملك وأقاربه ودواوين المشهورة ونحوها، فالأول يسمى: بيتًا، والثاني يسمى: دارًا، والثالث يسمى: قصرًا أو سراية⁶.

¹ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 39.

² رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 58.

³ حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت-لبنان، 1983م، ص 73.

⁴ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 121.

⁵ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 121.

⁶ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 121.

تتميز بيوت الفرنساوية بالنظافة، أعجب الطهطاوي بهذه الصفة وقام بمدحها والثناء عليها: "ومما يمدح به الفرنساوية نظافة بيوتهم من سائر الأوساخ وإن كانت بالنسبة لبيوت أهل الفلمنك كلاشيء، فإن أهل الفلمنك أشد جميع الأمم نظافة ظاهرية كما أن أهل مصر في قديم الزمان كانوا أيضا أعظم أهل الدنيا نظافة"¹.

*القصر:

أعجب بالتواضع الذي تتصف به هذه القصور، فهي تفتح أبوابها لعامة الناس للفرجة والاطلاع عليها وذلك عند خروج السلطان وأقاربها منها وذهابهم في عطلة، ومن الفوائد التي لا بأس بها أن قصر ملك فرنسا وقصور أقاربه تفتح حين خروج السلطان وأقاربه كل سنة إلى الإقامة في الخلاء مدة شهر، فيدخل سائر الناس للفرجة على بيت الملك وأقاربه².

وقد دخلها الطهطاوي عدة مرات، وقد رأى فيه أشياء غريبة، وأمور عجيبة، منها الصور التي قال عنها: "لا تمتاز عن الناس إلا بعدم النطق"³. استحسّن وأحب الطهطاوي جودة صنع الأشياء الموجودة داخل القصر، وهذا من خلال قوله: "وأغلب الأشياء الموجودة في حريم السلطنة مستحسنة من جملة صناعتها لا نفاستها بالمادة"، وقام بوصفها "مثلاً سائر الفراش كالكراسي والأسرة حتى كراسي المملكة مشغولة شغلاً عظيماً بالقصب المخيش ومطلية بالذهب"⁴.

*المسرح:

شاهد الطهطاوي (التياتر، السبكتاكل) في باريس وهو من أماكن التسلية عندهم، ورأى بأنه جد في هيئة هزل، فهو يهذب حياة الإنسان ومنها يتعلم الصالح من الأمور ولكن بطريقة الهزل، "فإن الإنسان يأخذ منها عبراً عجيبة... فهي وإن كانت مشتملة على المضحكات فكم من المبكيات... وقد تصلح العوائد باللعب"⁵.

¹ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص ص 123-124.

² رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 122.

³ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 123.

⁴ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 123.

⁵ رفاعة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 133.

أشار الطهطاوي إلى أن كلمة سيكتاكل أو تياتر اسم ليس عربي، فهو اسم عربي، إسيكتاكل يعني منظر أو متنزه أو نحو ذلك «ولفظ التياتر معناه الأصلي كذلك، ثم سمي بها اللعب ومحلّه، وبقرّب أن يكون نظيرها أهل اللعب المسمى خيالياً، بل الخيالي نوع منها، وتشتهر عند الترك باسم (كمدية) وهذا الاسم قاصر إلا أن يتوسع فيه، ولا مانع أن تترجم لفظ (تياتر) أو سيكتاكل بلفظة: خيالي، ويتوسع فيه معنى هذه الكلمة، ويقترّب من تصوير (السيكتاكل) أو هو منها مواضع يصور فيه الإنسان منظر بلد أو أراضٍ أو نحو ذلك»¹.

*الحمامات:

شاهد الطهطاوي حمامات باريس أثناء إقامته فيها، وقام بعقد مقارنات بين حمامات باريس وحمامات مصر، ورأى بأنهما يختلفان شكلاً ومضموناً، وقد أحب ما تتميز بها حمامات باريس من تنوع ونظافة، لكنه يرى أن حمامات مصر أفضل وأنفع، "والحمامات في باريس متنوعة، وفي الحقيقة هي أنظف من حمامات مصر غير أن حمامات مصر أنفع منها وأتقن وأحسن في الجملة"².

وصف الطهطاوي حمامات باريس وصفاً يتيح المجال لتخيل هذه الحمامات فيقول: "الحمام في مدينة باريس عدة خلوات، في كل خلوة مغطس من نحاس يسع الإنسان فقط، وفي بعض الخلوات مغطسان، أعجب الطهطاوي بحرص الفرنسيين واهتمامهم بخصوصية الإنسان داخل الحمام، ليس عندهم مغطس عام كما في مصر، ولكن هذه العادة أسلم بالنسبة للعورة، فإنه لا طريقة أن يطلع إنسان على عورة آخر، حتى أن الخلوة التي فيها مغطسان"³.

أعجب الطهطاوي بحرص الفرنسيين واهتمامهم بخصوصية الإنسان داخل الحمام من خلال قوله: "عندهم مغطس عام كما في مصر، ولكن هذه العادة أسلم بالنسبة للعورة، فإنه لا طريقة أن يطلع إنسان على عورة آخر، حتى أن الخلوة التي فيها مغطسان بين كل مغطس ستارة تمنع أن ينظر الإنسان صاحبه"⁴.

*الإسكندرية:

¹ رفاة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تليخيص باريز، ص 135.

² رفاة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تليخيص باريز، ص 141.

³ رفاة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تليخيص باريز، ص 141.

⁴ رفاة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تليخيص باريز، ص 141.

مكان مغلق للمرور فقد خرج الطهطاوي من مصر متوجها إلى الإسكندرية وبقي فيها مدة من الزمن ليكمل بعدها رحلة إلى باريس التي تعتبر مكاناً لاستقرار فهي الوجهة المقصودة من رحلة الطهطاوي، "وكان دخولنا الإسكندرية يوم الأربعاء -ثلاث عشر يوم من شهر شعبان-، فمكثنا فيها ثلاثة وعشرين يوماً في (سراية) الولاية بها"¹ لم يسهب الطهطاوي في وصفه لمدينة الإسكندرية لأن خروجه كان قليلاً «وكان خروجنا إلى البلد في هذه المدة قليلاً فلم يسهل لي ذكر شيء من شأنها، إلا أنه شبهها ببلاد الإفرنج بسبب كثرة الإفرنج بها وتميزها عن غيرها من بلاد مصر وبعد وصوله إلى مدينة مرسيليا تأكد الطهطاوي بأن الإسكندرية هي عينة لمرسيليا "غير أنه ظهر لي أنها قريبة الميل في وصفها وحالتها إلى بلاد الفرنج، وإن كنت وقتئذ لم أر شيئاً من بلاد الإفرنج أصلاً وإنما فهمت ذلك مما رأيته فيها دون غيرها من بلاد مصر ولكثرة الإفرنج بها، ولكون أغلب السوقة يتكلم ببعض شيء من اللغة الطليانية ونحو ذلك، وتحقق ذلك عندي بعد وصولي إلى "مرسيليا" فإن إسكندرية (عينة) "مرسيليا" وأنموذجها ولما ذهبت إليها سنة 62 وجدتها قطعة من أوروبا"².

من خلال هذا الفصل والمتضمن دراسة التظاهرات الغرائبية في رحلة رفاة الطهطاوي يتضح جلياً أنها تتسم بالعديد من التظاهرات الغرائبية من خلال تطواف الرحالة في الديار والأمصار، وجمع غريب الأخبار في كتابه "تخلص الإبريز في تخلص باريز"، والذي أصبح موسوعة في المجتمع والتاريخ، والبلدان، تُقدم بأسلوب مختصر سهل واضح، تتميز القصة بوجود الشخصية الأولى، وهي الرحالة رفاة الطهطاوي، مما يزيد من جاذبيتها وإقناعها وبالتالي يجعل القارئ يتخيل نفسه في موقع الراوي، نظراً لمدى تصديقه للأحداث.

¹ رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 39.

² رفاة الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، ص 59.



تحتوي الرحلات عموماً على العديد من الأحداث التي تسمح للرحلة أن يتخطاها إلى ما وراء العقل، حيث أنه لارتياحه للأفاق واختراق الأصقاع باحثاً عن كل ما هو مغاير وغريب، ولأجل ذلك ضلت الرحلة بما تحتويه من الغرائبية بمثابة السفر باتجاه الأقصي والنهايات، وظل عمل الرحالة غير بعيد عن التخيل، بل يقع في صلبه وإن كان يركز على وصف بنيان وهذا ما لوحظ من خلال دراستنا لرحلة تخلص الإبريز في تخلص باريز للرحلة رفاعة الطهطاوي والتي أظهر فيها كل ما أدهشه وكل ما رآه غريباً في باريز.

ومن خلال ما تم التطرق إليه في دراستنا والمتضمنة: الغرائبية في رحلة تخلص الإبريز في تخلص باريز" للمؤلف: محمد رفاعة الطهطاوي، وتم رصد مجموعة من النتائج متمثلة فيما يلي:

-أدب الرحلات يُعتبر واحداً من الأنواع الأدبية الغنية بالمعلومات التاريخية والجغرافية والسياسية.

-يتداخل في النص الرحلي أنواع متعددة من الأدب مثل الشعر والحكاية والسيرة والرسالة، وتختلف هذه الأنواع من رحلة إلى أخرى.

-تتداخل في النص الرحلي أنواع أدبية متعددة مثل الشعر والحكاية والسرد والرسالة، وتتباين هذه الأنواع من رحلة إلى أخرى.

-كتاب "تخلص الإبريز في تخلص باريز" لرفاعة الطهطاوي يُعتبر واحداً من أهم الكتب العربية التي تم كتابتها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ويعتبر هذا الكتاب أداة مهمة للتنوير والحداثة في العصر الحديث.

-كتاب رحلة رفاعة الطهطاوي يحتوي على جميع العجائب التي واجهها في رحلته، وخلال إقامته في هذه المدينة المليئة بالعلوم والفنون والعدل العجيب والإنصاف الغريب.

الخاتمة

شاهد الطهطاوي في فرنسا ما لم يشاهده من قبل في بلاده مصر، فمدح ما أعجبه وانتقد ما لم يعجبه، وعقد مقارنات بين مصر وفرنسا. تحدد الحيز في رحلة الشيخ الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" بشكل واضح وانقسم إلى قسمين: حيز مفتوح وآخر مغلق. في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، دعا الشيخ رفاة رافع الطهطاوي إلى دراسة الغرب والتعرف على حضارته وأسباب تقدمه وتطوره، كما أكد على أهمية الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وفي النهاية نسأل الله تعالى السداد والتوفيق، ونتمنى أن نكون قد ساهمنا حتى بجزء صغير في تقديم نبذة موجزة عن الغرائب في رحلة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وآخر دعائنا أن الحمد لله رب العالمين وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قائمة

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر، المعجم الوسيط، ط5، ج1، دار الفكر، 2001م
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط8، تع: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة رسالة للبنات، 2005م
- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط1، مج 9، دار صادر للنشر، بيروت، 2003م
- أبو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، ط1، دار الشرق، بيروت، 1961م.
- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دط، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع
- آسيا جريو، جماليات السرد العربي القديم، مطبوعة بيداغوجية، جامعة بسكرة، 2022-2023 م
- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية -دراسة بنيوية لنفوس ثائرة-، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م
- جعفر الشيخ عبوش، السرد ونبوءة المكان، ط1 دار غيداء، عمان، 2015م
- حامد بن أحمد، الواقعية السحرية في الرواية العربية، دط، المجلس الأعلى للثقافة
- حسن نجمي، شعرية الفضاء- المتخيل والهوية في الرواية العربية-، دط، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000م
- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت- لبنان، 1983م
- حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، ط1، الدار العربية، للعلوم ناشرون، 2009 م
- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ط1، عالم المعارف، مصر، 1978م

- حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت- لبنان، 1983م
- الخليل أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، دار المعرفة، بيروت
- رفاعة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تخلص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م
- الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2003م
- سلمان كاصد، عالم النص (دراسة بنيوية في الأساليب السردية)، ط1، دار الكندي، الأردن، 2003م
- سيد حامد النسيانج، مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا ،ط1، مكتبة غريب
- سيزا قاسم، بناء الرواية، ط1، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م
- شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتاستيكية، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف دار الأمان- الرباط، 2009م
- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ط1، رواية للنشر، القاهرة، 2006م
- الطاهر أحمد مكي، القصة القصيرة دراسة ومختارات، دار المعارف، 1999م
- عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابية، دار الطليعة، بيروت، 1992م.
- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ط1، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع ، أبو ظبي، 2006م
- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، دار العربية للكتاب ، ليبيا، تونس، 1974م
- عبد المجيد بدرأوي، الأدب العجائبي ، مقال، جامعة قلمة.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد-، ط1، عالم المعرفة، الكويت، 1998م
- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط1، دار العربية لكتاب، 2002م
- قوراري السعيد، أدب الرحلة في المشرق، محاضرة رقم 11، سنة أولى جذع مشترك أدب عربي LMD .
- محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م
- محمد تنفو، النص العجائبي، ط1، دار كيوان، دمشق، 2010م

- محمد علي باشا، الرحلة الشامية، ط1، تح:علي أحمد كنعان، سيكو للطباعة والنشر، بيروت ، 2002م
-مهدي عبيد، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه -حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد-، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م

ثانياً: المجلات

- إبراهيم بن محمد الشتوي، عبر الثقافة والهوية -دراسة لتخليص الإبريز في تخليص باريز- لرفاعة الطهطاوي، مجلة جامعة عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 22، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
-أشواق فهد الرقيب، تجليات العجائبي في أدب الرحلات، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد 05، العدد01، مارس 2019م
-الحاج جعدم، بنية السرد في رحلة محمد علي دبور -وقفة في دار الرافعي وقبره-، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف.
-حيدر عبد عود وعبد الباسط أحمد مراشدة، العجائبي والغرائبي ومقارنات المصطلح، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 13، العدد02، 2016م
-سديرة سهام، أدب الرحلة الماهية، البنية والشكل-، مجلة البدر، جامعة بشار، 2018م.
-سعيدة حمداوي، تجليات السرد في أدب الرحلة، مجلة المدونة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، العدد 04، 2015م
-فاطمة جاسم الغزال، صورة الآخر في رحلة رفاعة الطهطاوي- تخليص الإبريز في تخليص باريز-، مجلة حولية الآداب واللغات، المجلد 10، العدد 02، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، نوفمبر 2022م.
-فايزة لولو، خصائص السرد العربي القديم، مجلة حوليات جامعة قلمة للغات والأدب، العدد 19 جوان 2017 م
-فتيحة بلخالد، تقاطعات العجائبي والغرائبي في أدب الرحلات، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد 5، العدد01، 2018
-مسعود بودوخه، الملمح العجائبي في أدب الرحلات-رحلة ابن بطوطة نموذجاً، مجلة الاستهلال، العدد10، المغرب، 2016م
-نهاد فخري ومحمود الشّمري، غرائبية المشهد الروائي وفاعلية الخيال العلمي في رواية حرب الكلب الثانية للروائي إبراهيم نصر الله، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، مجلد02، العدد01، سبتمبر 2019م

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2014-2015م
- حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديث إسلام آباد، 2013 م
- الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني-بناءها الفني أنواعها وخصائصها-، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، 2013-2014م
- عجوج فاطمة الزهراء،المكان ودلالته في الرواية المغربية المعاصرة، أطروحة دكتوراه في الرواية المغربية والنقد الجديد، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات والفنون،جامعة جيلالي ليابس،سيدي بلعباس،2017-2018م.
- فاطمة الزهراء العليز، الغرائبية في الرواية العربية والمعاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر- بسكرة، 2020-2021م.
- فاطمة سعيد أحمد حمدان، مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى، 1989م.



نبذه عن رفاعه رافع الطهطاوي: ولد رفاعه رافع الطهطاوي بن بدوي بن محمد بن علي بن رافع في 15 أكتوبر 1801م، في مدينة طهطا بجنوب معبد مصر، كنا ميلاده هو العام الذي انسحبت فيه الحملة الفرنسية دون أن تحقق طموحها السياسي، وهو من عائلة شريفة النسب، نشأ في عائلة من القضاة ورجال الدين فلقى عناية من أبيه حيث حفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده رجع إلى موطنه طهطا، وهو في عمر السادسة عشر بدأ يدرس مختلف العلوم علوم النقل والعقل وعلوم الدين واللغة، وبعض كتب التصوف، وفي عام 1817م التحق بالأزهر، كان تلميذا نجيبا وذلك ما أعانه على إتمام تحصيل العلم في زمن قياسي، فتخرج من الأزهر بعد ست سنوات، وفي عام 1821م أصبح مدرسا، كما تتلمذ على يد الكثير من الشيوخ الأفاضل فأثروا على تعليمه تأثيرا بالغا في عام 1826م، سافر الطهطاوي خارج لأول مرة في حياته إلى فرنسا ضمن بعثة أرسلها محمد علي على متن سفينة حربية فرنسية لاترويت La truite لدراسة اللغات والعلوم الأوروبية الحديثة، وكان عمره حينها 24 عاما، ومنذ اللحظة الأولى من سفر رفاعه الطهطاوي حدد طريقه الذي يسلكه في هذه الرحلة، وعرف مناه وأدرك غايته والطهطاوي لم يكن قارنا فقط بل كان يراقب ويدقق فيما يدور حوله من أحداث سياسية واجتماعية وعلمية، وكان يدقق النظر في تكوين المجتمع الفرنسي وتقاليد ومكونات الحضارية وعلاقاته السياسية والفكرية، وفي عام 1870م قرر ديوان المدارس إصدار مجلة فكرية وثقافية وأدبية وهي روضة المدارس" وقرر الديوان إسناد رئاسة تحريرها إلى رفاعه الطهطاوي إلى أن توفي عام 1873م .

مؤلفاته: له موسوعة في الترجمة متمثلة في كتب التاريخ والجغرافيا والعلوم والهندسة والشعر والأدب والطب، وقد بلغت ترجماته 27 ترجمة منها:

-القانون المدني الفرنسي في عام 1868م.


-رسالة المعادن في عام 1867.

- المنطق في عام 1838م.

-نبذة في علم سياسات الصحة.

-الدستور الفرنسي.

- أطلس جغرافي في عام 1834م.



فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	إهداء
	شكر وامنتان
	فهرس المحتويات
	قائمة المختصرات
أ-ج	مقدمة
مدخل: مفهوم الغرائبية	
05	1/ مفهوم الغريب، الغرائبية، نشأتها
08	2/ المصطلحات المتقاربة للغرائبية
11	3/ روافد السرد الغرائبي الحديث
12	4/ تقاطعات الأدب العجائبي مع الأدب الغرائبي
13	5/ نشأة السرد العربي و تطوره
15	6/ تعريف السرد العربي القديم
الفصل الأول: مفاهيم عامة حول أدب الرحلة	
18	1/ مفهوم أدب الرحلة
21	2/ مكونات الخطاب الرحلي
24	3/ دوافع الرحلة
25	4/ أهمية أدب الرحلات
26	5/ القيمة العلمية والأدبية لأدب الرحلة
27	6/ خصائص ومميزات أدب الرحلة
28	7/ نشأة وتطور أدب الرحالة
الفصل الثاني: التظاهرات الغرائبية في تخلص الإبريز في تخلص باريز	
35	1/ نبذة عن رحلة رفاعة الطهطاوي
36	2/ الإطار العام لرحلة رفاعة الطهطاوي
37	3/ خصائص رحلة رفاعة الطهطاوي

فهرس الموضوعات

38	4/ البنية السردية الغرائبية في رحلة رفاعة الطهطاوي
39	5/ عناصر البنية السردية الغرائبية
43	6/ الأحداث الغرائبية في رحلة رفاعة الطهطاوي
53	7/ الحيز في رحلة رفاعة الطهطاوي
68	الخاتمة
71	قائمة المصادر والمراجع
76	الملحق
78	فهرس الموضوعات
80	المخلص

المخلص:

أدب الرحلة فن من فنون الأدب العربي ينتقي فيه الرحالة العديد من المظاهر المتنوعة والتي تمتاز في كثير من الأحيان بالغرائية التي عايشها أثناء رحلته، وكان رفاة رافع الطهطاوي من أهم الرحالة في العصر الحديث الذين أبدعوا في وصف غرائبية باريز وفي توظيفه للحيز الذي يعتبر احد أهم العناصر الحية والنشطة في مكونات السرد الغرائبي الرحلي.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، الغرائبية، الحيز.

Summary:

Travel literature is an art of Arabic literature in which the traveler selects many diverse aspects that are often characterized by the exoticism that he experiences during his journey. Rifa'a Rafi' al-Tahtawi was one of the most important travelers in the modern era who excelled in describing the exoticism of Paris and in his use of space, which is considered one of the most important elements. Live and active in the components of the exotic travel narrative.

key words: Travel literature, exoticism, space.